الشهاب
في الشيب والشباب

للسيد الشريف المرتضى ابى القاسم على ابن الشريف

ويليه
سلوة الحريف
بمناظرة الربيع والخريف

لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ

مطبعة الجوائب ـ قسطنطينية

الشهاب
فى الشيب والشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله على جزيل عطائه * وجميل آلائه * وله الشكر على ما منح من هدايه * ونفح من كفايه * وصلى الله على سيد البشر * محمد وآله الغرر * وكرم * وسلم * سألت وفقك الله ان اجمع لك من مختار الشعر فى الشيب ما تناله القدره * وتنتهى اليه الخبره * اذ كان الناس قد جمعوا فى ذلك الكثير من غث وسمين * وكريم وهجين * فانا اجيب مسألتك * وانجح طلبتك * واعلم ان الاغراق فى وصف الشيب والاكثار فى معانيه * واستيفاء القول فيه * لا يكاد يوجد فى الشعر القديم * وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة فكانت مما لا نظير له وانما اطنب فى اوصافه واستخراج دفائنه والولوج الى شعابه الشعرآء المحدثون وان كان الاحسان المطبق للمفصل قليلا والجيد من كل شئ قدرا معدودا وللفحلين المبرزين الطائيين ابى تمام وابى عبادة البحترى فى هذا المعنى ما يغبر فى الوجوه سبقا لاسيما البحترى فانه مولع بالقول فى الشيب لهج به معيد مبدئ لاوصافه ولا تكاد اكثر قصائده تخلو من المام به وتعرض له فقد زاد فيه على كل متقدم لزمانه اكثارا وتجويدا وتحقيقا وتدقيقا فانى اخرجت له فى الشيب مائة واربعين بيتا لكنها مملوءة احسانا وتجويدا ووجدت فى شعر اخى رضى الله عنه وارضاه * وكرم مثواه * فى الشيب شيئا كثيرا فى غاية الجودة والبراعة ورأيت ايضا بعد ذكر ما للطائيين ما ذكره كله لكثرة الاحسان فيه والغوص الى لطيف المعانى وقد اخرجت من ديوانه

مائتين

مائتين و نيفا وسبعين بيتا من تأملها وجد الحسن فيه غزيرا * والتجويد كثيرا * وانا اضم الى ذلك واختمه به ما اخرجه من ديوان شعرى فى هذا المعنى فانه ينيف على الثلاثمائة بيت الى وقتنا هذا وهو ذو الحجة من سنة تسع عشرة واربعمائة وربما امتد العمر ووقع نشاط مستقبل لنظم الشعر فانفق فيه من ذكر الشيب ما يزيد فى عدد هذا المذكور المسطور فاما الاحسان و التجويد مع هذا الاكثار الذى قد زاد على المكثرين فى اوصاف الشيب فما يخرجه الاختبار* ويبرزه الاعتبار * ويشهد بتقدم فيه او تأخر ضم قول الى نظيره ومعنى الى عديله واطراح التقليد والعصبية وتفضيل ما فضله السبك والنقد من غير احتشام لحق يصدع به وباطل يكشف عنه ولا محاباة لمتقدم بالزمان على متأخر فما المتقدم الا من قدمه احسانه * لا زمانه * وفضله * لا اصله * وقد قلت فى بعض ما نظمته * والسبق للاحسان لا الازمان * وبانضمام ما اخرجته من هذه الدواوين الاربعة يجتمع لك محاسن القول فى الشيب والتصرف فى فنون اوصافه وضروب معانيه حتى لا يشذ عنها فى هذا الباب شئ يعبأ به هذا حكم المعانى فاما بلاغة العبارة عنها وجلاؤها فى المعاريض الواصلة الى القلوب بلا حجاب والانتقال فى المعنى الواحد من عبارة الى غيرها مما يزيد عليها براعة وبلاغة او يساويها او يقاربها حتى يصير المعنى باختلاف العبارة عنه وتغير الهيئات عليه وان كان واحدا كانه مختلف فى نفسه فهو وقف على هذه الدواوين مسلم لها مفوض اليها مع الانصاف الذى هو العمدة والعقدة فى كل دين ودنيا واخرى واولى وان شئت ان تختصر لنفسك وتقتصر على احد هذه الدواوين استغناء به فى هذا المعنى عما سواه ولاحتوائه على ما فى غيره فانت عند سبرك لها وانسك بكل واحد منها وعلمك بالاشتراك بينها والانفراد والاجتماع والافتراق تعرف على ايها تقتصر وبايها تستغنى عما سواه * واعلم ان الشيب قد يمدح ويذم على الجملة ثم يتنوع مدحه الى فنون فيمدح بان فيه الجلالة والوقار والتجارب والحنكة وانه يصرف عن الفواحش ويصد عن القبائح ويعظ من نزل به فيقلل الى الهوى طماحه وفى الغى جماحه وان العمر فيه اطول والمهل معه افسح وان لونه انصع الالوان واشرفها وما جرى مجرى ما ذكرناه فالتركب منه كثير ومن يذمه بانه رائد الموت

ونذيره وانه يوهن القوة ويضعف المنة ويطمع فى صاحبه وان النساء يصددن عنه ويعبن به وينفرن عن جهته وربما شكى منه لنزوله فى غير زمانه ووفوده قبل ابانه وانه بذلك ظالم جائر وما اشبه ذلك ومما يدخل فى هذا الشباب واطراء السواد وذكر منافعهما وفوائدهما ومرافقهما ويتعلق باوصاف الشيب ذكر الخضاب اما بمدح او بذم وفنون مدحه او ذمه كثيرة وذكر ما يقوم مقام الخضاب فى ازالة شخص الشيب عن المنظرة من مقراض او غيره وسيجئ من هذه المعانى فى ما نورده من الدواوين الاربعة ما ستقف عليه فى مواضعه وتعلم حسن مواقعه وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قال ابو تمام حبيب بن اوس الطائى وهو ابتداء قصيدة

* نسج المشيب له لفاعا مغدفا * يققا فقنع مذرويه ونصفا *
* نظر الزمان اليه قطع دونه * نظر الشفيق تحسرا وتلهفا *
* ما اسود حتى ابيض كالكرم الذى * لم يأن حتى جئ كيما يقطفا *
* لما تفوقت الخطوب سوادها * ببياضها عبثت به فتفوفا *
* ما كاد يخطر قبل ذا فى فكره * فى البدر قبل تمامه ان يكسفا *

ووجدت ابا القاسم الآمدى يذكر فى كتابه المعروف بالموازنة بين الطائيين فى البيت الاول من هذه الابيات شيئا انا اذكره وابين ما فيه قال معنى قوله نصفا اى قنع جانبى رأسه حتى يبلغ النصف منه قال وقد قيل انما اراد بقوله نصف النصيف وهو قناع لطيف يكون مثل نصف القناع الكبير وقد ذكره النابغة فقال * سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * ثم قال وذلك لا وجه له بعد ذكر القناع وانما اراد ابو تمام ما اراده الآخر بقوله

* اصبح الشيب فى المفارق شاعا * واكتسى الرأس من مشيب قناعا *

قال فالمعنى مكتف بقوله قنع مذرويه وقوله نصفا اى بلغ نصف رأسه وهذا الذى ذكره الآمدى غير صحيح لانه لا يجوز ان يريد بقوله نصفا اى بلغ نصف رأسه لانه قد سماه لفاعا واللفاع ما اشتمل به المتلفع فغطى جميعه لانه جعله ايضا مغدفا والمغدف المسبل السابغ التام فهو يصفه بالسبوغ على ما ترى فكيف

يصفه

يصفه مع ذلك بانه بلغ نصف رأسه والكلام بغير ما ذكره الآمدى اشبه ويحتمل وجهين احدهما ان يريد بقوله نصفا النصف الذى هو الخمار والخمار ما ستر الوجه فكأنه لما ذكر انه قنع مذرويه وهما جانبا رأسه اراد ان يصفه بالتعدى الى شعر وجهه فقال نصفا من النصيف الذى هو الخمار المختص بهذا الموضع وليس النصيف على ما ظنه الآمدى القناع اللطيف بل هو الخمار وقد نص اهل اللغة على ذلك فى كتبهم وبيت النابغة الذى انشد بعضه شاهدا عليه لانه قال

* سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد *

وانما اتقت بيدها بان سترت وجهها عن النظر اليه فاقامت يدها مقام الخمار بهذا الموضع والوجه الآخر ان يكون معنى نصفا انه بلغ الخمسين وما قاربها فقد يقال فى من اسن ولم يبلغ الهرم انه نصف فان قيل النصف انما يستعمل فى النساء دون الرجال قلنا لا مانع يمنع من استعماله فيهما ولو على سبيل الاستعارة فى الرجال فقد يستعير الشعراء ما هو ابعد من ذلك وعلى هذا الوجه يكون قوله نصفا راجعا الى ذى الشيب والى من كنى عنه بالهاء فى قوله له ولا يكون راجعا الى الشيب نفسه ورأيت الآمدى يسرف فى استرذال قوله * لم يأن حتى جئ كيما يقطفا * ولعمرى انه لفظ غير مطبوع وفيه ادنى ثقل ومثل ذلك يغفر لما لا يزال يتوالى من احسانه ويترادف من تجويده ووجدته ايضا يذمه غاية الذم على البيت الاخير الذى اوله * ما كان يخطر قبل ذا فى فكره * ويصفه بغاية الاضطراب والاختلال وليس الامر على ما ظنه اذ البيت جيد وانما ليس رونق الطبع فيه ظاهرا وليس ذلك بعيب

وله وهو ابتداء قصيدة

* يضحكن من اسف الشباب المدبر * يبكين من ضحكات شيب مقمر *

ووجدت ابا القاسم الآمدى يغلو فى ذم هذا البيت وقال هذا بيت ردئ ما سمعت يضحك من الاسف الا فى هذا البيت قال وكأنه اراد قول الآخر * وشر الشدائد ما يضحك * فلم يهتد لمثل هذا الصواب قال وقوله

* من ضحكات شيب مقمر * ليس بالجيد ايضا ولو كان ذكر الليل على الاستعارة لحسن ان يقول مقمر لانه كان يجعل سواد الشعر ليلا وبياضه بالمشيب اقماره لان قائلا لو قال قد اقمر ليل رأسى كان من اصح الكلام واحسنه وان لم يذكر الليل ايضا حتى يقول قد اقمر عارضاك او فوداك لكان حسنا مستقيما وهو دون الاول فى الحسن وذاك انه قد علم انهما كانا مظلمين فاستنارا والذى نقوله ان قول ابى تمام * يضحكن من اسف الشباب المدبر * يحتمل ان يكون المراد به ان النساء اللواتى يرين بكاء عشاقهن واسفهن على الشباب المدبر يهزأن بهم ويضحكن منهم ومثل ذلك يرد فى الشعر كثيرا فاما قوله * يبكين من ضحكات شيب مقمر * فالاولى ان يحمل على ان المراد به انهن يبكين من طلوع الشيب فى مفارقهن وضحكه فى رؤوسهن لانا لو حملناه على شيب عشاقهن لكان الذى يبكين منه هو الذى يهزأن به وهذا يتنافى فكأنه وصفهن بانهن يضحكن ويهزأن من شئ فى غيرهن ويبكين منه بعينه اذا خصهن فاما حمل الضحك هاهنا على معنى البكاء وغاية الحزن فهو مستبعد وان كان جائزا ويكون على هذا التاويل يضحكن ويبكين بمعنى واحد فاما عيبه لقوله شيب مقمر فى غير موضعه وليس يحتاج الى ان يذكر الليل على ما ظنه وكما يقال اقمر ليل راسك واقمر عارضاك على ما استشهد به كذلك يقال اقمر شيبك ولا يحتاج الى ذكر الليل وانما المعنى انه اضاء بعد اظلام وانتشر فيه البياض بعد السواد وليس هذا تتبع من يعرف الشعر حق معرفته ولعمرى ان هذا البيت خال من طبع وحلاوة لكن ليس الى الحد الذى ذكره الآمدى

وله من جملة قصيدة

* غدا الهم مختطا بفودى خطة * طريق الردى منها الى الموت مهيع *
* هو الزور مجفا والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع *
* له منظر فى العين ابيض ناصع * ولكنه فى القلب اسود اسفع *
* وكنا نرجيه على الكره والرضا * وانف الفتى من وجهه وهو اجدع *

والاحسان فى هذه الابيات غير مجحود ولا مدفوع ومعنى ان الشيب فى القلب

اسود وان كان فى العين ناصعا ما يورثه من الهم والحزن الذى تظلم به القلوب وتكسف انوارها

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* شعلة فى المفارق استودعتنى * فى صميم الفؤاد ثكلا جميما *
* تستثير الهموم ما اكتن منها * صعدا وهى تستثير الهموما *
* غرة مرة ألا انما كنت اعزى ايام كنت بهيما *
* دقة فى الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمى اللديغ سليما *
* حلمتنى زعمتم وأرانى * قبل هذا التحليم كنت حليما *

قال الآمدى واخذ البحترى قوله ألا انما كنت اعزى ايام كنت بهيما فقال

* عجبت لتفويف القذال وانما * تفوفه لو كان غير مفوف *

وقد كنا قلنا فى مواضع تكلمنا فيها على معانى الشعر والتشبيه بين نظائره انه ليس ينبغى لاحد ان يقدم على ان يقول اخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان وان كان احدهما متقدما والآخر متأخرا لانهما ربما توارد من غير قصد ولا وقوف من احدهما على ما تقدمه الآخر اليه وانما الانصاف ان يقال هذا المعنى نظير هذا المعنى ويشبهه ويوافقه فاما اخذه وسرقه فما لا سبيل الى العلم به لانهما قد يتواردان على ما ذكرناه ولم يسمع احدهما بكلام الآخر وربما سمعه فنسيه وذهب عنه ثم اتفق له مثله من غير قصد ولا يقال ايضا اخذه وسرقه اذا لم يقصد الى ذلك وكم بين بيت ابى تمام وبيت البحترى مأخوذا منه او غير مأخوذ فى الطبع وصحة النسج وطلاوة اللفظ فلبيت ابى تمام الفضل الظاهر الباهر ويشبه قوله وارانى قبل هذا التحليم كنت حليما • من شعرى فى الشيب قولى

* وقالوا اتاه الشيب بالحلم والحجى * فقلت بما يبرى ويعرق من لحمى *
* وما سرنى حلم يفئ الى الردى * كفانى ما قبل المشيب من الحلم *

وستجئ هذه الابيات فى موضعها بمشيئة الله

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* ألم تر ارآم الظباء كأنما * رأت بى سيد الرمل والصبح ادرع *
* لئن جزع الوحشى منها لرؤيتى * لانسيها من شيب رأسى اجزع *

ووجدت ابا القاسم الآمدى يفسر ذلك ويقول اراد بسيد الرمل الذئب وقوله والصبح ادرع اى اوله مختلط بسواد الليل يريد وقت طلوع الفجر وكل ماأسود اوله وابيض آخره فهو ادرع وشاة درعاء للتى اسود رأسها وعنقها وسائرها ابيض وانما قال ذلك لان الظباء تخاف الذئب فى ذلك الوقت لان لونه يخفى فيه لغبشته فلا تكاد تراه حتى يخالطها وهو الوقت الذى تنتشر فيه الظباء وتخرج من كنسها لطلب المرعى ونقول ان الذى ذكره الآمدى مما يحتمله البيت واجود منه ان يكون قوله والصبح ادرع عبارة عن شيبه وخبرا عن بياض بعض شعره وسواد بعض واراد ان النساء اللواتى يشبهن الظباء ينفرن منى اذا رأين شيب رأسى كما ينفرن من ذئب الرمل ثم قال ولئن كان الوحشى يجزع من رؤيتى فالانسى منها من شيب رأسى اجزع وان لم يكن المعنى على ما ذكرناه فلا معنى لقوله ان الظباء التى هى البهائم تنفر منه كما تنفر من الذئب لانه لا وجه لذلك ولا فائدة فيه ولا سبب فالكلام بالمعنى الذى ذكرناه أليق فان قال من ينصر تأويل الآمدى اى معنى لقوله كأنما رأت بى سيد الرمل لولا انه اراد بالظباء البهائم دون النساء المشبهات بهن وكيف تنفر النساء من الذئب وانما تنفر منه الظباء على الحقيقة قلنا النساء تنفر من الذئب لا محالة كما تنفر منه الظباء اللواتى هن الغزلان وما يهابه الرجال وينفرون منه اجدر ان ينفر منه النساء الغرائر فان قيل كيف قال فى البيت الثانى

* لئن جزع الوحشى منها لرؤيتى * لانسيها من شيب رأسى اجزع *

لولا ان الوحشية قد نفرت منه ووقع ذلك وخبر عنه فى البيت الاول قلنا ليس يقتضى هذا الكلام الثانى ان يكون المراد بذكر الظباء فى البيت الاول والظباء على الحقيقة لان من المعلوم ان الظباء الوحشية وكل وحش ينفر من الانس وهذا امر ممهد معلوم لا يحتاج الى وقوعه حتى يعلم فلما قال ان النساء

اللواتى

اللواتى يشبهن الظباء ينفرن من شيبى جاز ان يقول بعد ذلك ولئن كانت الظباء الوحشية تنفر منى فالظباء الانسية لاجل انكارهن شيبى منهن انفر وبعد فلم نفسد تأويل الآمدى ونسكره بل اجزناه وقلنا ان البيت يحتمل سواه

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا *
* خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما اذ رأت شواتى خضيبا *
* كل داء يرجى الدواء له * الا القطيعين ميتة ومشيبا *
* يا نسيب الثغام ذنبك ابقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا *
* ولئن عبن ما رأين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا *
* او تصدعن عن قلى لكفى بالشيب بينى وبينهن حسيبا *
* لو رأى الله ان فى الشيب فضلا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا *

قال الآمدى ومن يتعصب على ابى تمام يقول انه ناقض فى هذه الابيات لقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ثم قوله

* يا نسيب الثغام ذنبك ابقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا *

وقوله ولئن عبن ما رأين وقالوا كيف يبكين دما على مشيبه ثم يعيبه قال الآمدى وليس ههنا تناقض لان الشيب انما ابكى اسفا على شبابه غير الحسان اللواتى عبنه واذا تميز من اشفق عليه ممن عابه فلا تناقض واقول لا حاجة بنا الى تمحله والمناقضة زائلة عن ابى تمام على كل حال لانه لا تناقض بين البكى على شبابه ممن بكاه من النساء وتلهف عليه وبين العيب منهن للشيب والانكار له بل هذه مطابقة وموافقة ولا يبكى على شبابه من النساء الا من رأين الشيب عيبا وذنبا وقد ذكرنا هذا فى كتاب الغرر وهذا الذى ذكره وان كان لا يحتاج الى ما تكلفه قد كان ينبغى ان يفطن لمثله ونظيره فى التغاير والتميز لما عابه بقوله * يضحكن من اسف الشباب المدبر * فجعل الضحك من شئ والبكى من غيره على ما بيناه ولا يحمله بعد الفطنة على ان يجعل الضحك بكاء وفى معناه

ولہ من جملة قصيدة

* راحت غوانى الحى عنك غوانيا * يلبسن نأيا تارة وصدودا *
* من كل سابغة الشباب اذا بدت * تركت عميد القريتين عميدا *
* اربين بالبرد المطارف بدنا * غيدا ألفتهم لدانا غيدا *
* احلى الرجال من النساء مواقعا * من كان اشبههم بهن خدودا *

ووجدت ابا القاسم الآمدى يختار فى قوله اربين الباء دون الياء من ارب المكان اذا لزمه واقام فيه واربين بالياء معناه الزيادة فكأنه يقول على الرواية بالياء انهن ازددن علينا بالمرد واخترنهم علينا كما يقبل الرجل الزيادة فى الشئ الذى يعطاه فاضلا عن حقه ولعمرى ان الرواية بالباء اقرب منها بالياء الى الحق وان كان فيها بعض الهجنة على ما اشار اليه الآمدى وقال الآمدى انه اخذ قوله * احلى الرجال من النساء مواقعا * من قول الاعشى

* وارى الغوانى لا يواصلن امرءا * فقد الشباب وقد يصلن الامردا *

ولعمرى ان بين البيتين تشابها الا ان ابا تمام زاد على الاعشى بقوله * من كان اشبههم بهن خدودا * فعلل ميل النساء الى المرد والاعشى اطلق من غير تعليل

ولہ وهو ابتداء قصيدة

* ابدت اسى اذ رأتنى مخلس القصب * وآل ما كان من عجب الى عجب *
* ست وعشرون تدعونى فاتبعها * الى المشيب ولم تظلم ولم تحب *
* فلا يروقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب *

اما قوله من عجب الى عجب فمن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع وقوله * فان ذاك ابتسام الرأى والادب * يريد به ان الرأى والادب والحلم انما يجتمع ويتكامل فى اوان الكبر والشيب دون زمان الشباب وقد تصف الشعراء ابدا الشيب بانه تبسم فى الشعر لبياضه وضيائه الا ان هذه من ابى تمام تسلية عن الشيب وتنبيه على منفعته

ولہ

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* شاب رأسى وما رأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد *
* وكذاك القلوب فى كل بؤس * ونعيم طلائع الاجساد *
* طال انكارى البياض فان عمرت شيئا انكرت لون السواد *
* زارنى شخصه بطلعة ضيم * عمرت مجلسى من العواد *
* نال رأسى من ثغرة الهم لما * لم ينله من ثغرة الميلاد *

ورأيت الآمدى يقول ان قوما عابوا ابا تمام بقوله شيب الفؤاد قال وليس عندى بمعيب لانه لما كان الجالب للشيب القلب المهموم نسب الشيب اليه على الاستعارة قال الآمدى وقد احسن عندى ولم يسئ فيقال له قد احسن الرجل بلا شك ولم يسئ وما المعيب الا من عابه واما انت ايها الآمدى فقد نفيت عنه الخطأ واعتذرت له باعتذار غير صحيح لان القلب اذا كان جالبا للشيب كيف يصح ان يقال قد شاب هو نفسه وانما يقال انه اشاب ولا يقال شاب والعذر الصحيح لابى تمام ان الفؤاد لما كان عليه مدار الجسد فى قوة وضعف وزيادة ونقص ثم شاب رأسه لم يخل ذلك الشيب من ان يكون من اجل تقادم السن وطول العمر او من زيادة الهموم والشدائد وفى كلا الحالين لا بد من تغير حال الفؤاد وتبدد صفاته فسمى تغير احواله شيبا استعارة ومجازا كما كان تغير لون الشعر شيبا والبيت الثانى يشهد بما قلناه لانه جعل القلوب طلائع الاجساد فى كل بؤس ونعيم وقال الآمدى قوله * عمرت مجلسى من العواد * لا حقيقة له لانا ما رأينا ولا سمعنا احدا جاءه عواد يعودونه من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وقد قال ابن حازم الباهلى او غيره

* أليس عجيبا بان الفتى * يصاب ببعض الذى فى يديه *
* فمن بين باك له موجع * وبين معز مغذ اليه *
* ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزيه خلق عليه *

قال فاحب ابو تمام ان يخرج عن عادات بنى آدم ويكون امة وحده فيقال له لم لم

تفطن لمعنى ابى تمام فذممته وقد تكلمنا على هذه الوهلة منك فى كتابنا المعروف بغرر الفرائد وقلنا انه لم يرد العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العواد مجالس المرضى وانما تلطف فى الاستعارة والتشبيه واشار الى الغرض اشارة مليحة والمعنى ان الشيب لما طرقنى كثر عندى المتوجعون لى منه والمتأسفون على شبابى اما بقول يظهر منهم او بما هو معلوم من قصدهم واعتقادهم فسماهم عوادا تشبيها بعائد المريض الذى من شانه ان يتوجع له من مرضه ولما كثر المتفجعون له من الشيب حسن ان يقول * عمرت مجلسى من العواد * لان هذه العبارة تدل على الكثرة والزيادة وهذا الذى ذكرناه فى كتاب الغرر وهو كاف شاف ويمكن فيه وجه آخر وهو ان يريد بقوله عمرت مجلسى من العواد الاخبار عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به فجعل ما يجب ان يكون كائنا واقعا وهذا له نظائر كثيرة فى القرآن وفى كلام العرب واشعارهم قال الله عز وجل ومن دخله كان آمنا وانما المعنى انه يجب ان يأمن فجعل قوة الوجوب واللزوم كأنه حصول ووقوع وما يروى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من قوله العارية مردودة والامانة مؤداة والزعيم غارم من هذا الباب ايضا لانه جعل الوجوب فى هذه المواضع كأنه وقوع ووجوب وقد يقول القائل فعل فلان كذا من الجميل فكثر مادحوه وان لم يمدحه احد وفعل كذا من القبيح فكثر ذاموه وان لم يذمه بشر وانما المعنى ما اشرنا اليه فاما ثغرة الهم فانما اراد به ناحية الهم وكذلك ثغرة الميلاد والثغرة فى كلامهم هى الفرجة والثلمة وهى الثغر وهو البلد المجاور لبلد الاعداء البادى لهم فكأن ابا تمام اراد ان الهموم هى الجالبة لشيبه والتى دخل من قبلها على رأسه الشيب دون جهة الميلاد لانه لم يبلغ من السن ما يقتضى نزول الشيب وقال الآمدى كان وجه الكلام ان يقول من ثغرة الكبر او من ثغرة السن لا من ثغرة الميلاد وهذا منه ليس بصحيح لان العبارات الثلاث بمعنى واحد ويقوم بعضها مقام بعض لان الميلاد عبارة عن السن فمن تقادمت سنه تقادم ميلاده ومن قربت سنه وقصرت قصر وقرب زمن ميلاده وانكر ايضا الآمدى قوله نال رأسى قال وكان يجب ان يقول حل برأسى او نزل برأسى والامر بخلاف ما ظنه لان الجميع واحد وما نال رأسه فقد حل به ونزل ونظير قوله نال رأسى من ثغرة الهم قولى من ابيات فى الشيب سيجئ ذكرها باذن الله تعالى

ولو انصفتنى الاربعون لنهنهت * من الشيب زورا جاء من جانب الهم *

﴿ ونظير قوله طال انكارى البياض قول البحترى ﴾

* وكان جديدها فيها غريبا * فصار قديمها حق الغريب *

﴿ وله وقيل انه منحول فى ذكر الخضاب ﴾

* فان يكن المشيب طرا علينا * واودى بالبشاشة والشباب *
* فانى لست ادفعه بشئ * يكون عليه اثقل من خضاب *
* اردت بان ذاك وفا عذاب * فينتقم العذاب من العذاب *

(مضى ما لابى تمام حبيب بن اوس الطائى فى الشيب)

﴿ وقال ابو عبادة الوليد بن عبيد البحترى فى الشيب ﴾

﴿ من جملة قصيدة ﴾

* وكنت ارجى فى الشباب شفاعة * وكيف لباغى حاجة بشفيعه *
* مشيب كبث السر عى بحمله * محدثه او ضاق صدر مذيعه *
* تلاحق حتى كاد يأتى بطيئه * لحث الليالى قبل آتى سريعه *

وهذا والله ابلغ كلام واحسنه واحلاه واسلمه واجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى وما احسن ما شبه تكاثر الشيب وتلاحقه ببث السر عن ضيق صدر صاحبه واعيائه بحمله وعجزه عن طيه ويشبه بعض الشبه قوله * تلاحق حتى كاد يأتى بطيئه * قولى من ابيات يجئ ذكرها بمشيئة الله تعالى

* سبق احتراسى من اذاه بطيئه * حتى تجلانى فكيف عجوله *

وفى البيت لمحة بعيدة من بيت البحترى وليس بنظير له على التحقيق ومعنى البيت الذى يخصنى ادخل فى الصحة والتحقيق لاننى خبرت بان بطئ الشيب سبق وغلب احتراسى وحذرى منه فكيف عجوله ومن سبقه البطئ كيف لا يسبقه السريع والبحترى قال ان البطئ كاد ان يسبق السريع وهذا على ظاهره لا يصح لانه يجعل البطئ هو السريع بل اسرع منه لكن المعنى انه متدارك متواتر فيكاد البطئ له يسبق السريع وهذا فى غاية الملاحة

﴿ وله ايضا من جملة قصيدة ﴾

* ردى على الصبى ان كنت فاعـله * ان الصبى ليس من شانى ولا اربى *
* جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا * الى بنات الصبى يركضن فى طلبى *
* والشيب يهرب من جارى منيتـه * ولا نجـاء له فى ذلك الهـرب *
* والمرء لو كانت الشعرى له وطنـا * صبت عليه صروف الدهر من صبب *

وهذا كلام مصقول مقبول عليه طلاوة غير مدفوعة ولا مجهولة والشيب يهرب من جارى منيته له نظائر سيجئ التنبيه عليها بمشيئة الله وعونه

﴿ وله من ابتداء قصيدة ﴾

* لابس من شـبيبة ام ناض * ومليح من شـيبة ام راض *
* واذا ما امتعضت من ولع الشيب برأسى لم يغن ذاك امتعاضى *
* ليس يرضى عن الزمان مروء * فيه الا عن غفلة او تغاضى *
* والتوقى من الليـالى وان خالفن شيئـا شبيهات المـواضى *
* ناكرت لمتى وناكرت منهـا * سوء هذى الابدال والاعواض *
* شـعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام فى الاغراض *
* وابت تركى الغديات والآصـال حتى خضبت بالمقراض *
* غـير نفع الا التعلل من شخص عـدو لم يعـده ابغـاضى *
* ورواء المشيب كالمحض فى عينى فقل فيه فى العيون المراض *
* طبت نفسا عن الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض *
* فهل الحادثات يا ابن عويف * تاركاتى ولبس هذا البيـاض *

قوله خضبت بالمقراض فى غاية الملاحة والرشاقة ومعنى قوله رجوع السهـام فى الاغراض انه لا يملك ردا لطلوع الشيب فى شعره ولا تلافيـا لحلوله فيجرى فى ذلك مجرى رجوع السهام الى الغرض فى انه لا يملك مرسل الســهم صده عنه ولا رده عن اصابته ويمكن فى ذلك وجه آخر وان كان الاول اشف وهو ان يريد بالاغراض المقاتل والمواضع الشريفة من الاعضاء فكأنه يشبه رجوع الشـيب بعد قصه له وطلوعه فى شدة ايلامه وايجاعه باصابة السهـام للمقاتل

والفرائض ويحتمل وجهاً آخر وهو ان السهام تنزع من الاغراض ثم ترجع بالرمى اليها ابدا فاشبهت فى ذلك الشيب فى قصه ثم طلوعه ورجوعه الى مواضعه * ونظير قوله * فهل الحادثات يا ابن عويف * البيت قوله من قصيدة اخرى

* يعيب الغانيات علىّ شيبى * ومن لى ان امتع بالمعيب *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* وما انس لا انس عهد الشباب وعلوة اذ عيرتنى الكبر *
* كواكب شيب علقن الصبى * فقللن من حسنه ما كثر *
* وانى وجدت فلا تكذبن * سواد الهوى فى بياض الشعر *
* ولا بد من ترك احدى اثنتين * اما الشباب واما العمر *

ووجدنا لابى القاسم الآمدى زلة فى البيت الاخير من هذه الابيات قد نبهنا عليها فى كتاب الغرر ونحن نذكرها هاهنا فان الموضع يليق بذكرها * قال الآمدى على البحترى فى قوله * ولا بد من ترك احدى اثنتين * معارضة وهو ان يقال ان من مات شابا وقد فارق الشباب وقد فاته العمر ايضا فهو تارك لهما ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب الا احدهما ثم قال والعذر للبحترى ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر ألا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر لم يكن مفارقا للشباب فى حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون فى حال موته مفارقا للعمر وحده فالى هذا ذهب البحترى وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

* رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم *

ولم يرد البحترى ما توهمه الآمدى وانما اراد ان الانسان بين حالين اما ان

يفارق الشباب بالشيب والعمر بالموت فمن مات شابا فانما فارق العمر وفارق بفراقه سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فلم يفارق الشباب وحده بلا واسطة وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة البحترى تناولت احد امرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت وتقدير كلامه انه لا بد للحى منا من مشيب او موت لان الشيب والموت يتعاقبان عليه وانما اقام البحترى قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وعدل الى لفظة العمر لاجل القافية ولو قال لا بد من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام قوله العمر فاما اعتراضه بمن مات شيخا وانه قد فارق العمر والشباب جميعا فليس بشئ لان هذا ما فارق الا العمر دون الشباب لان الشباب قد تقدمت مفارقته له وقد خرج بالشيب عن حال الشباب فلم يفارق الا العمر وحده والبحترى انما وجهت قسمته الى من كانت له الحالتان جميعا من شباب وحياة فقال لا بد ان يفارق الشباب بالشيب او العمر بالموت فاى اعتراض بمن هو على احدى الحالتين دون الاخرى فاما اعتذار الآمدى للبحترى بان من مات شابا ما فارق العمر وانما فارق الشباب وحده من حيث لم يطل عمره ولم يقل فيه معمر فغلط فاحش لان اسم العمر يتناول ايام الشباب كما يتناول ما زاد عليها ولهذا يقولون فى الشاب والصبى لم يطل عمره او كان عمره قصيرا فاسم العمر يتناول الطويل والقصير من الزمان حياة احدنا وانما لا يقال فى من عاش طرفة عين ان له عمرا لان المتعارف من استعمال هذه اللفظة فى ما تستمر الحياة له ضربا من الاستمرار قصر او طال وليس يجرى قولهم عمّر ومعمر مجرى قولهم له عُمُر لان لفظة عمّر وما اشبهها تفيد التطاول ولا تكاد تستعمل الا فى السن لانها تفيد من حيث التشديد التأكيد والزيادة فى العمر ولفظة عُمُر بخلاف ذلك لانها تستعمل فى الطويل والقصير ونظائر هذا البيت فى معناه يجئ ذكرها عند الانتهاء الى ما خرجته من شعرى فى الشيب

﴿ وله من قصيدة ﴾

* يعيب الغانيات علىّ شيبى * ومن لى ان امتع بالمعيب *

وو جدى

* ووجدى بالشباب وان تقضى * حميدا دون وجدى بالمشيب *

انما جعل وجده بالشباب اقل من وجده بالشيب لانه يفارق الشباب بالشيب وصاحب الشيب فى قيد الحياة على كل حال ولا يفارق الشيب الا بالموت فالايثار لمقامه اقوى

وله من قصيدة

* أعداوة كانت ومن عجب الهوى * ان يصطفى فيه العدو حبيبا *
* ام وصلة صرفت فعادت هجرة * ان عاد ريعان الشباب مشيبا *
* أرأيته من بعد حفل فاحم * جون المفارق بالنهار خضيبا *
* فعجبت من حالين خالف منهما * ريب الزمان وما رأيت عجيبا *
* ان الزمان اذا تتابع خطوه * سبق الطلوب وادرك المطلوبا *

اراد بقوله جون المفارق اى هو ابيض المفارق ولهذا قال بالنهار خضيبا

وله من قصيدة

* رأت فلتات الشيب فابتسمت لها * وقالت نجوم لو طلعن باسعد *
* أعانك ما كان الشباب مقربى * اليك فأحلى الشيب اذ كان مسعدى *
* تزيدين هجرا كلما ازددت لوعة * طلابا لان اردى فها انا ذا ردِ *
* متى ادرك العيش الذى فات آنفا * اذا كان يومى فيك احسن من غدى *

ووجدت الآمدى يقول هاهنا بعد استحسانه هذه الابيات وهى لعمرى فى غاية الحلاوة والطلاوة وان معنى تبسمت انها استهزأت قال وبهذا جرت عادة النساء ان يضحكن من الشيب ويستهزئن لا ان يبكين كما قال ابو تمام ولم يقنع الا ببكاء الدم وهذه عصبية شديدة من الآمدى على ابى تمام وغمط لمحاسنه والنساء قد يستهزئن تارة بالشيب ويبكين اخرى لحلوله على حسب احوالهن مع ذى الشيب فان كن عنه معرضات وله غير محبات استهزأن بشيبه وان كن له وامقات وعليه مشفقات بكين لحلول شيبه لفوت تمتعهن بشبابه وتلهفا على ما مضى من زمانه فاما قوله لو طلعن باسعد فانما تمنى ذلك وتلهف عليه كما قال فى موضع آخر

* وتعجبت من لوعتى فتبسمت * عن واضحات لو لثمن عذاب *

ولم يجعل ذلك شرطا فى انهن عذاب واضحات كما لم يجعل تشبيه الشيب بالنجوم مشروطا بطلوع السعود وانما تمنى ذلك وتلهف عليه او لانه حكى عن محبوبته انها شبهت الشيب بالنجوم على سبيل التعجب له والازراء عليه ارادة ان تسلب الشيب فضيلة النجوم وانه اشبهها منظرا فما اشبهها فضلا ومنفعة فقالت لو طلعن باسعد اى طلوع الشيب بضد السعادة وان كان طلوع النجوم قد يكون بالسعد وهذا تدقيق مليح وتصرف قوى

﴿ وله من قصيدة ﴾

* عنت كبدى قسوة منك ما ان * تزال تجدد فيها ندوبا *
* وحلت عندك ذنب المشيب حتى كأنى ابتدعت المشيبا *
* ومن يطلع شرف الاربعين * يلاق من الشيب زورا غريبا *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* وقد دعا ناهيا فاسمعنى * وخط على الرأس مخاس شعره *
* شيب ارتنى الاسى اوائله * فليت شعرى ماذا ترى آخره *
* صغر قدرى فى الغانيات وما * صغر صبا تصغيره كبره *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* أيذنى الشباب اما تولى * منه فى الدهر دولة ما تعود *
* لا ارى العيش والمفارق بيض * اسوة العيش والمفارق سود *
* وأعد الشقى جدا ولو اعطيت غنما حتى يقال سعيد *
* من عدته العيون فانصرفت عنه الفتاتا الى سواه الخدود *

﴿ وله ايضا ﴾

* راعنى ما يروع من وافد الشيب طروقا ورابنى ما يريب *
* شعرات سود اذا حان بيضا * حال عن وصله المحب الحبيب *

* مر بعد الشباب ما كان يحلو * مجتناه من عيشنا ويطيب *

﴿ وله ايضا ﴾

* أجدك ما وصل الغوانى بمطمع * ولا القلب من رق الغوانى بمعتق *
* وددت بياض السيف يوم لقيننى * مكان بياض الشيب كان بمفرقى *

﴿ وله ايضا ﴾

* عمر الغوانى لقد بين من كثب * هضيمة فى محب غير محبوب *
* اذا مددن الى اعراضه سببا * وقين من كرهه الشبان بالشيب *

﴿ وله ايضا ﴾

* خلياه وجدة اللهو ما دام رداء الشباب غضا جديدا *
* ان ايامه من البيض بيض * ما رأين المفارق السود سودا *

﴿ وله ايضا ﴾

* قدك منى فما جوى السقم الا * فى ضلوع على جوى الحب تحنى *
* لو رأت حادث الخضاب لأنت * وأرتنا من احمرار ايرنا *
* كلف البيض بالعمر قدرا * حين يكلفن والمصغر سنا *
* يتشاغفن بالغرير المسمى * عن تصاب دون الخليل المكنى *

﴿ وله ايضا ﴾

* ترك السواد للابسيه وبيضا * ونضا من الستين عنه ما نضا *
* وشاه اغيد فى تصرف لحظه * مرض اعل به القلوب وامرضا *
* وكأنه وجد الصبى وجديده * دينا دنا ميقاته ان يقتضى *
* اسيان اثرى من جوى وصبابة * واساف من وصل الحسان وانفضا *

الاسيان والاسوان الحزين ومعنى اساف ذهب ماله وكذلك انفض وجعلهما البحترى هاهنا فى من ذهب من يده وصل الحسان وميلهن اليه

ولـه ايضا

* اخيّ ان الصبي استمر به * سير الليالي فانهجت برده *
* تصد عني الحسان مبعدة * اذ انا لا تربه ولا صدده *
* شيب على المفرقين بارضه * يكثرني ان ابينه عدده *
* تطلب عندى الشباب ظالمة * بعيد خمسين حين لا تجده *
* لا تعجب ان نقات خلتنا * فافتقد الوصل منك مفتقده *
* من يتطاول على مطاولة العيش تقعقع من ملة عمده *

وقد نبهنا فى كتاب الغرر على هفوة الآمدى فى قول البحترى تقعقع من ملة عمده لانه ظن ان معناه ان عظام الكبير المسن يجئ لها صوت اذا قام وقعد وتسمع لها قعقعة وما سمعنا بهذا الذى ظنه فى وصف ذوى الاسنان والكبر والمعنى اظهر من ان يخفى على احد لانه اراد من عمر واسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله عن الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد لان ذوى الاطناب والخيام اذا انتقلوا من محل الى غيره وقوضوا عمد خيامهم وسارت بها الابل سمعت لها قعقعة * ومن امثال العرب المعروفة من يجمع تتقعقع عمده يريدون ان التجمع يعقب التفرق والرحيل الذى تتقعقع معه العمد ومعنى قوله من ملة يريد من السأم والملال دون ما ظنه الآمدى من انه تملى العيش

ولـه ايضا

* اقول للمتى اذ اسرعت بى * الى الشيب اخسرى فيه وخيبى *
* مخالفة بضرب بعد ضرب * وما انا واختلافات الضروب *
* وكان جديدها فيها غريبا * فصار قديمها حق الغريب *

ولـه ايضا

* هل انت صارف شبة ان غلست * فى الوقت او عجلت عن الميعاد *
* جاءت مقدمة امام طوالع * هذى تراوحنى وتلك تغادى *
* واخو الغبينة تاجر فى لمة * يشرى جديد بياضها بسواد *

لا تكذبن

* لا تكذبن فما الصبى بمخلف * لهوا ولا زمن الصبى بمعاد *
* وارى الشباب على غضارة حسنه * وجماله عددا من الاعداد *

ووجدت الآمدى قد نزل فى معنى قوله * يشرى جديد بياضها بسواد * لانه قال معنى يشرى يبيع واراد ان الغبين من باع جديد بياضه بالسواد واراد بالسواد الخضاب فكأنه ذم الخضاب والامر بخلاف ما ذكره وما جرى للخضاب ذكر ولا هاهنا موضع للكناية عنه ومعنى يشرى هاهنا يبتاع لان قولهم شريت يستعمل فى البائع والمبتاع جميعا وهذا من الاضداد نص اهل اللغة على هذا فى كتبهم فكأنه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه به وانما ذهب على الآمدى ان لفظة يشرى تقع على الامرين المضادين فتمحل ذكر الخضاب الذى لا معنى له ههنا وقال الآمدى فى قوله عددا من الاعداد انه اراد عددا قليلا وقد اصاب فى ذلك الا انه ما ذكر شاهده ووجهه والعرب تقول فى الشئ القليل انه معدود اذا ارادوا الاخبار عن قلته قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودات وقال جل اسمه فى موضع آخر واذكروا الله فى ايام معدودات واظنهم ذهبوا فى وصف القليل بانه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع الا على القليل والكثير ولكثرته لا ينضبط ولا ينحصر

﴿ وله ايضا ﴾

* ما كان شوقى ببدع يوم ذاك ولا * دمعى باول دمع فى الهوى سفحا *
* ولة كنت مشغوفا بجدتها * فما عفا الشيب لى عنها ولا صفحا *

هذا والله هو الكلام الحلو المذاق السليم من كل كلفة البرئ من كل غفلة وخلسة

﴿ وله ايضا ﴾

* قالت الشيب اتى قلت اجل * سبق الوقت ضرارا وعجل *
* ومع الشيب على علاته * مهلة للهو حينا والغزل *
* خبلت ان التصابى خرق * بعد خمسين ومن يسمع يخل *

﴿ وله ايضا ﴾

* تزيدنى الايام مغبوط عيشة * فينقصنى نقص الليالى مرورها *
* وألحقنى بالشيب فى عقر داره * مناقل فى عرض الشباب اسيرها *
* مضت فى سواد الشعر اولى بطالتى * فدعنى يصاحب وخط شيبى اخيرها *

المناقل المراحل ووجدت الآمدى يفسر البيت الاول من هذه القطعة فيقول اراد ان الايام زادتنى شيئا من غبطة العيش اجتمعت مع الليالى على انتقاصه وارتجاعه وغير هذا التأويل الذى ذكره اولى منه وهو ان يكون المراد ان الايام اذا زادتنى غبطة فى العيش نقصنى ذلك مرورها و يريد بقوله نقص الليالى كما تنقص الايام من الليالى لان الايام تأخذ الليالى وتنقصها وهذا التأويل اشبه بالصواب من تأويله فان قيل كما تأخذ الايام من الليالى كذلك الليالى تأخذ من الايام وتنقصها قلنا هذا صحيح ولو قال قائل فى غير هذا الموضع فى من نقص وثلم انه منقوص النقص فى هذا نقص الليالى من الايام لجاز وانما اضاف النقص فى هذا الموضع الى مرور الايام لانه اضاف الزيادة اليها وشبه نقصها له بنقصها لليالى

﴿ وله ايضا ﴾

* كلف يكفكف عبرة مهراقة * اسفا على عهد الشباب وما انقضى *
* عدد تكامل للذهاب مجيئه * واذا مجئ الشيب حان فقد مضى *
* خفض عليك من الهموم فانما * يخطى براحة دهره من خفضا *

قال الآمدى فى قوله وما انقضى انه اراد وانقضائه لان ما والفعل بمنزلة المصدر مثل قولك سرنى ما عمل زيد اى سرنى عمله ثم قال ويجوز ان يكون اراد بقوله وما انقضى اى لم ينقض بعد قال وهذا اجود لانه قال * واذا مضى الشئ حان فقد مضى * فدل على انه فى بقية من الشباب والوجه الاول الذى ذكره بعيد من الصواب لا يجوز ان يكون الشاعر عناه ولا اراده وانما خبر انه متلهف متأسف على عهد الشباب قبل مفارقته وخوفا من فوته فالكلام كله دال على ذلك

وله

﴿ وله ايضا ﴾

* خلق العيش فى المشيب وان كان نضيرا وفى الشباب جديده *
* ايت ان الايام قام عليها * من اذا ما انقضى زمان يعيده *
* ولو ان البقاء يختار فينا * كان ما تهدم الليالى تشيده *
* شيبتنى الخطوب الا بقايا * من شباب لم يبق الا شريده *
* لا تنقب عن الصبى فخليق * ان طلبناه ان يعز وجوده *

﴿ وله ايضا ﴾

* اواخر العيش اخبار مكدرة * واقرب العيش من لهو اوائله *
* يحرى الشباب اذا ما تم تكملة * والشئ ينفده نقصا تكامله *
* ويعقب المرء برءا من صبابته * تجرم العام يمضى ثم قابله *
* ان فر من عنت الايام حازمها * فالحزم فرك ممن لا تقاتله *
* وان اراب صديق فى الوداد فلم * امسيت احذر ما اصبحت آمله *

وهذه الابيات تصلح ان تكون لابى تمام لقربها من طريقته وظهور الصنعة فيها والتكلف وان كانت فى حيز الجودة والرصافة والوثاقة وقوله يحرى الشباب معناه ينقص يقال حرى الشئ يحرى حريا اذا نقص واحراه الزمان ويقال للافعى حارية وهى التى كبرت ونقص جسمها وذلك اخبث لها

﴿ وقال ايضا ﴾

* اما الشباب فقد سبقت بغضه * وحططت رحلك مسرعا عن نقضه *
* وافاق مشتاق واقصر عاذل * ارضاه فيك الشيب اذ لم ترضه *
* شعر صحبت الدهر حتى جازنى * مسوده الاقصى الى مبيضه *
* فعلى الصبى الآن السلام ولوعة * تثنى عليه الدمع فى مرفضه *
* وايقن تفاح الخدود فلست من * تقبيله غزلا ولا من عضه *

﴿ وله ايضا ﴾

* وصال سقانى الخبل صرفا ولم يكن * ليبلغ ما ادت عقابيله الهجر *

* وباقى شباب فى مشيب مغلب * عليه اختتاء اليوم يكثره الشهر *
* وليس طليقا من تروح او غدا * يسوم التصابى والمشيب له اسر *
* تطاوحنى العصران فى رجويهما * يسبنى عصر ويعلقنى عصر *
* متاع من الدنيا استبد بجدتى * واعظم جرم الدهر ان يمنع الدهر *

اما قوله اختتاء اليوم فالاختتاء عندهم هو الاستحياء والانخزال واليوم ينخزل من مكاثرة الشهر لقصوره عنه وهذه الابيات ايضا فيها ادنى تكلف وان كانت جيدة المعانى وثيقة المبانى

﴿ وله ايضا ﴾

* تقضى الصبى ان لا ملام لراحل * واغنى المشيب عن كلام العواذل *
* وتأبى صروف الدهر سودا شخوصها * على البيض ان يخطين منه بطائل *
* تحاولن عندى صبوة واخالنى * على شغل مما يحاولن شاغل *
* رمى رزايا صائبات كأننى * لما اشتكى منها رمى جنادل *

وهذه الابيات لها ما شاءت من جزالة وفصاحة وملاحة

﴿ وله ايضا ﴾

* فى الشيب زجر له لو كان ينزجر * وبالغ منه لولا انه حجر *
* ابيض ما اسود من فوديه وارتجعت * جلية الصبح ما قد اغفل السحر *
* وللفتى مهلة فى العيش واسعة * مالم يمت فى نواحى رأسه الشعر *

قال الآمدى قوله ارتجعت جلية الصبح ما قد اغفل السحر قريب من قوله

* تزيدنى الايام مغبوط عيشة * فينقصنى نقص الليالى مرورها *

ونقول ان الامر بخلاف ما ظنه ولا نسبة بين الموضعين لان احد البيتين تضمن ان الذى يزيده هو الذى ينقصه والبيت الآخر تضمن ان الصبح ارتجع بوضوحه وجليته ما اغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير فالمرتجع غير المعطى هاهنا

﴿ وله ايضا ﴾

* رب عيش لنا برامة رطب * وليال فيها طوال قصار *
* قبل ان يقبل المشيب وتبدو * هفوات الشباب فى الادبار *
* كل عذر من كل ذنب ولكن * اعوز العذر من بياض العذار *
* كان حلوا هذا الهوى فاراه * صار مرا والسكر قبل الخمار *

معنى قوله طوال قصار انهن طوال فى انفسهن وان كن قصارا ببلوغ الامانى فيهن والظفر بالمحبوبات ونيل المطلوبات وقوله كل عذر من كل ذنب يريد به ان العذر معتاد فى الذنوب كلها الا من الشيب فان قيل فقد سمى الشيب ذنبا وجعله من جملة الذنوب وليس بذنب على التحقيق قلنا انما سماه ذنبا تجوزا واستعارة لان النساء يستذنبن به ويؤاخذن بحلوله ونزوله وان لم يكن على الحقيقة ذنبا ومن حيث لم يك ذنبا لم يكن عنه اعتذار ولا تنصل

﴿ وله ايضا ﴾

* عيرتنى المشيب وهى بدته * فى عذارى بالصد والاجتناب *
* لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب *
* وبياض البازى اصدق حسنا * لو تأملت من سواد الغراب *

﴿ وله ايضا ﴾

* ها هو الشيب لائما فأفيقى * واتركيه ان كان غير مفيق *
* فلقد كف من عناء المعنى * وتلافى من اشتياق المشوق *
* عذلتنا فى عشقها ام عمرو * هل سمعتم بالعاذل المعشوق *
* ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق *
* ولعمرى لولا الاقاحى لابصرت انيق الرياض غير انيق *
* وسواد العيون لولم يكمل * ببياض ما كان بالموموق *
* ومزاج الصهباء بالماء املا * بصبوح مستحسن وغبوق *
* اى ليل يبهى بغير نجوم * او سماء تندى بغير بروق *

قال الآمدى اخذ قوله * اىّ ليل يبهى بغير نجوم * من قول الشاعر

* اشيب ولم اقض الشباب حقوقه * ولم يمض من عهد الشباب قديم *
* تفاريق شيب فى السواد لوامع * وما خير ليل ليس فيه نجوم *

وقد قلنا انه لا ينبغى ان يقال اخذ فلان كذا من فلان وانما يقال فى البيتين انهما يتشابهان ويتشاكلان وان هذا نظير ذاك ولا يزاد على ذلك ويشبه قول البحترى

* ولعمرى لولا الاقاحى لابصرت انيق الرياض غير انيق *

قول الشاعر

* لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار *
* انما تحسن الرياض اذا ما * ضحكت فى خلالها الانوار *

وقد شبهت الشعراء الشيب بالنجوم وبالنور وهو طريق مسلوك معهود فمن محسن فى العبارة ومسىء ومستوف ومقصر وسانبه على ذلك وعلى ما يحضرنى فيه عند الانتهاء الى ما اذكره من شعرى بمشيئة الله وعونه

﴿ وله ايضا ﴾

* فان ست وستون استقلت * فقد كرت بطلعتها الخطوب *
* لقد سر الاعادى فىّ انى * برأس العين محزون كئيب *
* وانى اليوم عن وطنى شريد * بلا جرم ومن مالى حريب *
* تعاظمت الحوادث حول حظى * وشبت دون بغيتى الحروب *
* على حين استتم الوهن عظمى * واعطى فىّ ما احتكم المشيب *

﴿ وله ايضا ﴾

* قنعت على كره وطأطأت ناظرى * الى رنق مطروق من العيش حشرج *
* وجلجلت فى قولى وكنت متى اقل * بسمعة فى مجمع لا الجلج *
* يظن العدى انى فنيت وانما * هى السنّ فى برد من العيش منهج *
* نضوت الصبي نضو الرداء وساءنى * مضىّ اخى امس متى يمض لا يجى *

﴿ وله ايضا ﴾

* ومعيرى بالدهر يعلم فى غد * ان الحصاد وراء كل نبات *

ابنى

* أبنيّ انى قد نضوت بطالتى * فحسرت وصحوت من سكراتى *
* نظرت الىّ الاربعون فاضرجت * شيبى وهزت للحنو قناتى *
* وارى لدات ابى تتابع كثرهم * خضوا وكر الدهر نحو لداتى *
* ومن الاقارب من يسر بميتتى * سفها وعن حياتهم بحياتى *

واحسن كل الاحسان فى هذا الكلام العذب الرطب مع متانة وجزالة ولقوله فاضرجت شيبى وهزت للحنو قناتى الحظ الجزيل من فصاحة وملاحة

(مضى ما للبحترى)

وهذا ما اخرجته لاخى الرضى رضى الله عنه فى الشيب

قال رضى الله عنه وهو ابتداء قصيدة

* دوام الهوى فى زمان الشباب * وما الحب الا زمان التصابى *
* أحين فشا الشيب فى شعره * وكتم اوضاحه بالخضاب *
* تروعين اوقاته بالصدود * وترمين ايامه بالسباب *
* تخطى المشيب الى رأسه * وقد كان اعلى قباب الشباب *
* كذاك الرياح اذا استلأمت * تقصف اعلى الغصون الرطاب *
* مشيب كما استل صدر الحسام لم يرو من لبثه فى القراب *
* نضى فاستباح حمى الملهيات * وراع الغوانى بظفر وناب *
* وألوى بجدة ايامه * فاصبح مقذى لعين الكعاب *
* تسترّ منه مجال السوار اما بدا ومناط السخاب *

قوله لم يرو من لبثه فى القراب استعارة مليحة وانما اشار الى ان الشيب عجل على سواده فى غير حينه وابانه لانه لما شبه طلوع الشيب بسله السيف اراد ان يبين مع هذا التشبيه سرعة وفوده فى غير وقته فقال لم يرو من لبثه فى القراب تحقيقا للمعنى الذى ذكرناه

وله وهو ابتداء قصيدة

* مسيرى فى ليل الشباب ضلال * وشيبى ضياء فى الورى وجمال *

* سواد ولكن البياض سيادة * وليل ولكن النهار جلال *
* وما المرء قبل الشيب الا مهند * صقيل وشيب العارضين صقال *
* وليس خضاب الرأس الا تعلة * لمن شاب منه عارض وقذال *

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* ضاع الشباب فقل لى اين اطلبه * وازورّ عن نظرى البيض الرعاديد *
* وجرد الشيب فى فودىّ ابيضه * ياليته فى سواد الشعر مغمود *
* بيض وسود برأسى لا يسلطها * على الذوائب الا البيض والسود *

﴿ وله وهو ابتداء قصيدة ﴾

* لون الشبيبة انصل الالوان * والشيب جل عمائم الفتيان *
* نبت باعلى الرأس يرعاه الردى * رعى المطىّ منابت الغيطان *
* الشيب احسن غير ان غضارة * للمرء فى ورق الشباب الآنى *
* وكذا بياض الناظرين وانما * بسوادها تتأمل العينان *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* تنفس فى رأسى بياض كأنه * صقال ترامى فى النصول الذوالق *
* وما جزعى ان حال لون وانما * ارى الشيب عضبا قاطعا حبل عاتقى *
* خالى اذم الغادرين وانما * شبابى اوفى غادر بى وماذق *
* تغيرنى شيبى كأنى ابتدعته * ومن لى ان يبقى بياض المفارق *
* وان وراء الشيب ما لا اجوزه * بعانقة تنسى جميع العوائق *
* وليس نهار الشيب عندى بمزمع * رجوعا الى ليل الشباب الغرانق *

نظير قوله * ومن لى ان يبقى بياض المفارق * قول البحترى * ومن لى ان امتع بالمعيب * واحسن مسلم بن الوليد فى قوله

* الشيب كره وكره ان يفارقنى * اعجب بشئ على البغضاء مردود *
* يمضى الشباب ويأتى بعده خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود *

ومعنى

ومعنى قوله مفقودا بمفقود اى انه يمضى صاحبه معه ويفقد بفقده وليس كذلك الشباب ومعنى قوله وما جزعى ان حال لون اى ليس فى التغير ما اجزع له لكننى ارى الشيب كالسيف الذى يقطع حبل عاتق وهذا مع انه تشبيه للون الشيب بلون السيف يفيد ان حلول الشيب به فى قطع آماله وحسم لذاته وتغيير احواله يجرى مجرى قطع السيف لحبل عاتقه وقد احسن كل الاحسان فى هذه الابيات فما اجود سبكها واسلم لفظها واصح معانيها

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* ولى الشباب وهذا الشيب طارده * يفدى الطريدة ذاك الطارد العجل *
* ما نازل الشيب فى رأسى بمرتحل * عنى واعلم انى عنه مرتحل *
* من لم يعظه بياض الشعر ادركه * فى غرة حتفه المقدور والاجل *
* من اخطأته سهام الموت قيده * طول السنين فلا لهو ولا جذل *

﴿ وله وهو اول قصيدة ﴾

* اراعى بلوغ الشيب والشيب دائبا * وافنى الليالى والليالى فنائيا *
* تلون رأسى والرجاء بحاله * وفى كل حال لا يغب الامانيا *

﴿ ومنها ﴾

* وعارية الايام عندى شبيبة * اساءت لها قبل الاوان التقاضيا *
* ارى الدهر غصابا لما ليس حقه * فلا عجب ان يسترد العواريا *
* وما شبت من طول السنين وانما * غبار حروب الدهر غطى سواديا *
* وما انحط اولى الشعر حتى نعيته * فبيض هم القلب باقى عذاريا *

ويشبه تشبيهه الشيب واضافته ذلك الى حروب الدهر قول ابن المعتز

* صدت شرير وازمعت هجرى * وصغت ضمائرها الى الغدر *
* قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر *

﴿ وقال ابن الرومى ﴾

* اطار غبار الشيب فوق مفارقى * تلوى سنى الراكضات اماميا *

﴿ ولابى الجنوب ﴾

* قالت ارى شيبا برأسك قلت لا * هذا غبار من غبار العسكر *

وقصر غاية التقصير عن ابن المعتز وابن الرومى لانهما مع التشبيه للشيب بالغبار فى اللون اضافاه من وقائع الدهر وركض السنين الى سبب اهذا الغبار وموجب فعماده على كل حال سبب وابو الجنوب حصل على تشبيه اللون المحض الصرف فزيادتهما عليه غير مجهولة • ولى ما فيه بعض الشبه بما ذكرناه لكنه فى وصف الابل وهو

* ويهززن عن داعى المراح مفارقا * بلا شمط الا بياض غبار *

فهذا البيت تضمن تشبيه بياض الغبار بالشمط ولهذا حسن استثناؤه من الشمط من حيث اشبهه وان لم يكن من جنسه • وما تقدم لاخى رضى الله عنه ولابن المعتز فيه تشبيه الشيب وبياضه بالغبار والمعنى يتقارب لان الشئ اذا اشبه غيره فذلك الغير مشبه له واقسم قسما برة انى لما نظمت هذا البيت فى وصف الابل ما كنت سمعت قبله من احد فى نظم ولا نثر تشبيه الشيب بالغبار وانما اتفق على سبيل التوارد لان تشبيه هذا بذلك امر مشاهد يجوز ان يقع لمن فكر من غير اتباع منه لغيره ولهذا انكر ابدا على من تقدم من العلماء فيقول اخذ فلان من فلان اذا وقفوا على متشابه بين معانيه

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* عقيب شباب المرء شيب يخصه * اذا طال عمرا او فناء يعمه *

* طليعة شيب خلفها فيلق الردى * برأسى له نقع وبالقلب كلمه *

قوله برأسى له نقع مثل قوله غبار حروب الدهر وما ذكرناه من نظائره ومعنى شيب يخصه اى يخص الشباب فالهاء كناية عن الشباب وقوله او فناء يعمه يعنى يعم المرء فالهاء فى يعمه كناية عن المرء نفسه

﴿ وله وهو ابتداء قصيدة ﴾

* أشوقا وما زالت لهن قباب * وذكر تصاب والمشيب نقاب *

* وغير التصابى للكبير تعلة * وغير الغوانى للبياض صحاب *

وما

* وما كل ايام المشيب مريرة * ولا كل ايام الشباب عذاب *
* اؤمل ما لا يبلغ العمر بعضه * كأن الذى بعد المشيب شباب *
* وطم لبازى الشيب لا شك مهجتى * اسفّ على رأسى وطار غراب *
* لداتك اما شبت واتبعوا الردى * جميعا واما ان رديت وشابوا *

هذه الابيات قوية مستوية مطبوعة الالفاظ بعيدة من التكلف والبيت الاخير يتضمن قسمة عليها بعض الطعن لانه قد يشيب ولا تموت جميع لداته بان يشيبوا ايضا معه او بعضهم وكذلك قد يموت هو ويموت بعض لداته فليس الواجب انه متى شاب مات جميع لداته ولا انه متى مات شاب جميعهم والقسمة تقتضى تعاقب كل واحد من الامرين ووجوب احدهما وقد بينا ان الامر بخلاف ذلك والقسمة الصحيحة هى قولى

* والشيب ان فكرت فيه مورد * لا بد يورده الفتى ان عمرا *

وقولى

* من عاش لم تجن عليه نوب * شابت نواحى رأسه او هرما *

وقولى * ومن ضل عن ايدى الردى شاب مفرقا *

وله من اثناء قصيدة

* ألا اين ذاك الشباب الرطيب ام اين لى بيض ايامية *
* مشى الدهر بينى وبين النعيم ظلما وغير من حاليه *
* نظرت وويل امها نظرة * لبيضاء فى عارضى باديه *
* يقولون راعية للشباب * فقلت ولكنها ناعيه *

وله وهو ابتداء قصيدة

* ما ابيض من لون العوارض افضل * وهوى الفتى ذاك البياض الاول *
* مثلان ذا حرب الملام وذا له * سبب يعاون من يلوم ويعذل *
* ارنو الى يقق المشيب فلا ارى * الا قواضب للرقاب تسلل *
* واللمة البيضاء اهون حادث * فى الدهر لو ان الردى لا يعجل *

* ولقد حملت شبابها ومشيبها * فاذا المشيب على الذوائب اثقل *

تشبيه بياض الشيب ببياض السيوف يمضي كثيرا فى الشعر ويتردد فاما الاستثقال بحمل الشيب من احسن ما قيل فيه قول على بن جبلة وربما رويت لدعبل بن على الخزاعى

* ألقى عصاه وارخى من عمامته * وقال ضيف فقلت الشيب قال اجل *
* فقلت اخطأت دار الحى قال ولم * مضت لك الاربعون الوفر ثم نزل *
* فما شجيت بشئ ما شجيت به * كانما اعتم منه مفرقى بجبل *

ولہ من جملة قصيدة

* ارى شيبة فى العارضين فيلتوى * بقلبى حراها جوى وغليل *
* ومن عجب غضى من الشيب جازعا * وكرى اذا لف الرعيل رعيل *

ولہ من اثناء قصيدة

* اذا ما الفتى لم يكسه الشيب عفة * فما الشيب الا سبة للاشايب *

ولہ وهو ابتداء قصيدة

* ارابك من مشيب ما ارابا * وما هذا البياض علىّ عابا *
* لئن ابغضت منى شيب راسى * فانى مبغض منك الشبابا *
* يذم البيض من جزع مشيبى * ودل البيض اول ما اشابا *
* وكانت سكرة فصحوت عنها * وانجب من ابى ذاك الشرابا *

يريد بقوله فانى مبغض منك الشبابا اننى قد عرفت وانصرفت عن الشغف بالنساء وهواهن فما ابالى بشبابهن ولا كبرهن وهما عندى سيان فى الاعراض عنه يدلك على ذلك البيت الاخير

ولہ من جملة قصيدة

* وقالوا الشيب زار فقلت اهلا * بنور ذوائب الغصن الرطيب *
* ولم اك قبل وسمك لى محبا * فيبعدنى بياضك عن حبيبى *

ولا

* ولا ستر الشباب علىّ عيبا * فاجزع ان تنم على عيوبى *
* ولم اذمم طلوعك بى لشئ * سوى قرب الطلوع الى شعوب *

اما تشبيهه الشيب فى بياضه بالنور فهو طريق مهيع ويجئ فى الشعر كثيرا وقد نبهنا فى ما مضى من شعر البحترى على شئ منه وان كان هذا المعنى اكثر من ان يحصى فاما البيت الذى اوله * ولم اك قبل وسمك لى محبا * فيشبهه قول البحترى

* أعاتك ما كان الشباب مقربى * اليك فألحى الشيب اذ كان مسعدى *

من وجه وان خالفه من آخر والوجه الذى كأنهما يشتبهان منه ان المشيب لم يزده بعدا من الغوانى وانه على ما كان عليه فى حال الشباب ويختلفان من حيث صرح اخى رحمه الله بانه ما كان محبا تنزها وتصاونا فاستوت فيه حال الشيب والشباب والبحترى ذكر انه كان مبعدا مقصى فى الحالين فلم يزده الشيب شيئا وقوله * ولا ستر الشباب علىّ عيبا * البيت فى غاية حسن المعنى واللفظ وكأنه غريب لانى لا اعرف الى الآن نظيره

وله من جملة قصيدة

* فكيف بالعيش الرطيب بعدما * حط المشيب رحله فى شعرى *
* سواد رأس ام سواد ناظر * فانه مذ زار اقذى بصرى *
* ما كان اضوا ذلك الليل على * سواد عطفيه ولما يقمر *
* عمر الفتى شبابه وانما * آونة الشيب انقضاء العمر *

نظير قوله رحمه الله ما كان اضوا ذلك الليل من شعرى قولى

* صدت وما صدها الا على ياس * من ان ترى صبغ فوديها على راسى *
* احبب اليها بليل لا يضئ لها * الا اذا لم تسر فيه بمقباس *

والمعنى فى بيتى مشبه للمعنى فى بيته رحمه الله وان كان بينهما من الفرق ما اذا تؤمل عرف ولا بد من الاشارة الى بعض ما افترقا فيه قوله رحمه الله * ما كان اضوا ذلك الليل على * البيت انما يفيد الاخبار عن ضوئه وان لم يكن مقمرا ولا يفيد انه اذا كان مقمرا لا يكون مضيئا لانه غير ممتنع ان يكون

مضيئا على الحالين والبيت الذى لى يفيد انه لا يضئ لهذه المرأة الا اذا لم يكن فيه مقباس فافاد نعى اصابته لها الا مع الظلام وفقد الانوار كلها وهذا هو المعنى المقصود الذى يخالف العادة ويقتضى العجب وايضا فان البيت الذى تضمن انه لا يضئ لهذه الغانية الا اذا لم يكن فيه مقباس قد تضمن تحقيقا شديدا لان هذه الحال تختص بالغانيات اللواتى يكرهن الشيب وينفرن منه والبيت الاخير بتضمن الاطلاق للخبر عن اضاءة الليل من غير اقمار والاطلاق على ظاهره لا يصح لان سواد الشعر المشبه بسواد الليل يضئ فى اعين كل الناس اذا كان فيه الشيب بلون القمر وانما لا يضئ فى اعين النساء خاصة لنفورهن من الشيب فلا بد من ان يريد بقوله ما كان اضوا ذلك الليل عند النساء وان حذف لضيق الكلام وضرورة الشعر فما لا حذف فيه ولفظه مطابق للمعنى المقصود اولى

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* لا تأخذيني بالمشيب فانه * تفويف ذى الايام لا تفويفى *
* لو استطيع نضوت عنى برده * ورميت شمس نهاره بكسوف *
* كان الشباب دجنة فتمزقت * عن ضوء لا حسن ولا مألوف *
* ولئن تجل بالنصول فخلفه * روحات سوق للمنون عفيف *

﴿ وله وهو ابتداء قصيدة ﴾

* أغدرا يا زمان ويا شباب * اصاب بذا لقد عظم المصاب *
* وما جزعى لان غرب التصابى * وحلق عن مفارقى الغراب *
* فقبل الشيب اسلفت الغوانى * قلى واماني عنهما اجتناب *
* عففت عن الحسان فلم يرعنى المشيب ولم يرزقنى الشباب *

معنى هذه الابيات يوافق معنى البيت الذى ذكرناه له رحمه الله وهو

* ولم اك قبل وسمك لى محبا * فيبعدنى بياضك عن حبيبى *

﴿ يخالف معنى قول البحترى ﴾

* اعانك ما كان الشباب مقربى * اليك فالحى الشيب اذ كان مبعدى *

لان بيت البحترى انما تضمن انه كان فى ايام الشباب مقصى بين الغوانى محروما وصالهن فلم يزده الشيب شيئا ولا نقصه وهذه الابيات تنطق بانه عف فى شبابه وتنزه عن الغوانى انفة وصيانة فلا ظلامة له فى الشيب وهذه عادته وسجيته

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* فليت عشرين بت احسبها * باعدن بين الورود والقرب *
* انى اظما الى المشيب ومن * ينج قليلا من الردى يشب *
* وان يزر طالع البياض اقل * ياليت ليل الشباب لم يغب *

﴿ وله وهى قطعة مفردة ﴾

* عجلت يا شيب على مفرق * واى عذر لك ان تعجلا *
* وكيف اقدمت على عارض * ما استغرق الشعر ولا استكملا *
* كنت ارى العشرين لى جنة * من طارق الشيب اذا اقبلا *
* فالآن سيان ابن ام الصبى * ومن تسدى العمر الاطولا *
* يا زائرا ما جاء حتى مضى * وعارضا ما غام حتى انجلى *
* وما رأى الراؤون من قبلها * زرعا ذوى من قبل ان يبقلا *
* ليت بياضا جاءنى آخرا * فدى بياض كان لى اولا *
* وليت صبحا ساءنى ضوءه * زال وابقى ليله الاليلا *
* ياذابلا صوح فينانه * قد آن للذابل ان يختلى *
* خط براسى يققا ابيضا * كأنما خط به منصلا *
* هذا ولم اعد مجال الصبى * فكيف من جاوز او اوغلا *
* من خوفه كنت اهاب السرى * شحا على وجهى ان يبذلا *
* فليتنى كنت تسربلته * فى طلب العز ونيل العلى *
* فالوادع القاعد يزرى به * من قطع الليل وجاب الفلا *
* قد كان شعرى ربما يدعى * نزوله بى قبل ان ينزلا *
* فالآن يحمينى ببيضائه * ان اكذب القول وان ابطلا *

* قل لعذولى اليوم عد صامتا * فقد كفانى الشيب ان اعذلا *
* طبت به نفسا ومن لم يجد * الا الردى اذعن واستقتلا *
* لم يلق من دونى لها مصرفا * ولم اجد من دونه موئلا *

قوله بازائرا والبيت الذى بعده والبيتان اللذان قبلهما من احسن ما وصف به عجل الشيب ونزوله قبل اوانه واما قوله * ليت بياضا جاءنى آخرا * البيت فانما يريد بالبياض الآخر الشيب والبياض الاول حال المرودة وابيضاض العارضين بفقد الشعر منهما وقوله وليت صبحا ساءنى ضوءه فى غاية الطبع والحلاوة ومعنى يختلى اى يقطع واصله قطع الخلاء الذى هو الحشيش وقوله حط برأسى يققا ايضا تشبيه للشيب بالسيف فى لونه وقطعه

﴿ وله من جملة قصيدة ﴾

* الآن لما اعتم بالشيب مفرقى * وجلى الدجى عن لمتى لمعانها *
* ونجذنى صرف الزمان ووقرت * عن الحلم نفسى وانقضى نزوانها *
* يروم العدى ان تستلان حميتى * وقبلهم اعيا علىّ حرانها *

وهذه ابيات لها جزالة وقوة وبلاغة

﴿ وله من اثناء قصيدة ﴾

* الى كم ذا التردد فى التصابى * وفجر الشيب عندى قد اضاء *
* فيا مبدى العيوب سقى سواد * يكون على مقابحها غطاء *
* شبابى ان تكن احسنت يوما * فقد ظلم البياض وقد اساء *

قد ملح بقوله * وفجر الشيب عندى قد اضاء * والبيت الثانى جيد المعنى

﴿ وله من اثناء قصيدة ﴾

* وهذا وما ابيض السواد فكيف بى * اذا الشيب مشى ليله من عمائمى *
* وكنت ارى ان الشباب وسيلة * لمثلى الى بيض الخدود النواعم *

وله

ولە من اثناء قصيدة

* فالآن اذ نبذ المشيب شبيبتى * نبذ القذى واقام من تأويدى *
* وفررت عن سن القروح تجاربا * وعسا على قمس السنين عمودى *
* ولبست فى الصغر العلى مستبدلا * اطـواقهـا بتمـائم المولـود *
* وصفقت فى ايدى الخلائف راهنا * لهـم يدى بوثائق وعقـود *
* وحللت عنـدهم محـل المجتبى * ونزلت منهـم منزل المودود *
* فغر العـدو يريد ذم فضـائلى * هيهات الجم فوك بالجلمود *

ولهذه الابيات من الاطراد والاتساق وجودة السبك وصحة النسج ما تستغنى به عن شهادة لها وتنبيه عليها

ولە من جملة قصيدة

* ان اشك فعلك فى فراق احبتى * فلسوء فعلك فى عذارى اقبح *
* ضوء تشعشع فى سواد ذوائبى * لا استضئ به ولا استصبح *
* بعت الشبـاب به على مقة له * بيـع العلـيم بانه لا يربح *

هذه ابيات محكمة فى القلوب تحكيمها فى الطبع وسلامة اللفظ وصحة النسج

ولە من اثناء قصيدة

* قل للعواذل مهلا فالمشيب غدا * يغدو عقالا لذى القلب الذى طمحا *
* هيهات احوج مع شيبى الى عذل * والشيب اعذل ممن لامنى ولحى *

ولە من اثناء قصيدة

* قالوا المشيب فعم صباحا بالنهى * واعقر مراحك للطروق الزائر *
* لو دام لى ود الاوانس لم ابل * بطلوع شيب وابيضاض غدائر *
* لكن شيب الرأس ان يك طالعـا * عندى فوصل البيض اول غائر *
* واها على عهد الشباب وطيبه * والغض من ورق الشباب الناضر *
* واها له لو كـان غير دجنة * قلصت صبابتهـا كظل الطائر *

* خمس وعشرون اهتصرن شبيبتي * وألنّ عودي للزمان الكاسر *
* كان الشباب وراء ظل قالص * لاخى الصبي وامام عمر قاصر *
* وارى المنايا ان رأت بك شيبة * جعلتك مرمى نبلها المتواتر *
* تعشو الى ضوء المشيب وتهتدى * وتضل في ليل الشباب الغائر *
* لو يفتدى ذاك السواد فديته * بسواد عيني بل سواد ضمائري *
* أبياض رأس واسوداد مطالب * صبرا على حكم الزمان الجائر *
* ان اصفحت عنه الخدود فطالما * عطفت له بلواحظ ونواظر *
* ولقد يكون وما له من عاذل * فاليوم عاد وماله من عاذر *
* كان السواد سواد عين حبيبه * فغدا البياض بياض طرف الناظر *
* لو لم يكن في الشيب الا انه * عذر الملول وحجة للغادر *

اما قوله * واعقر مراحك للطروق الزائر * فمن مليح اللفظ ورشيقه لان الضيف الزائر انما يعقر له الانعام والشيب اذا زار فانما يعقر له الطرب والمراح والارن والنشاط واما البيت الثالث من هذه الابيات الذى اوله * لكن شيب الرأس ان يك طالعا * والثانى الذى اوله ان اصفحت عنه الخدود فمعناهما يكثر ويتكرر في الشعر لان الطريق المسلوك في ذم الشيب هو من حيث ينفر النساء منه ويعرضن عنه ويقطعن حبل وصل صاحبه وفي هذا من الشعر ما لا يحصى والعبارات عنه مختلفة في اختصار واطالة وضعف وجزالة وطبع وتكلف ويمضى في ما اخرجته من شعرى هذا المعنى كثيرا بالفاظ مختلفة ومواقع متباينة وانت ترى ذلك اذا انتهينا اليه وقد احسن صخر بن حنباء التميمي في قوله

* فان اك بدلت البياض وانكرت * معالمه منى العيون اللوامح *
* فقد يستجد المرء حالا بحالة * وقد يستشن الجفن والنصل جارح *
* وما شان عرضى من فراق علمته * ولا اثرت فىّ الخطوب الفوادح *

ولجرير

* بان الشباب وقال الغانيات لقد * ولى الشباب واودى عصرك الخالى *
* قد كن يفزعن من صرمى ومقليتي * فاليوم يهزأن من وصلى وادلالى *

ولبعض العرب

* يا جمل ان سل سربال الشباب فما * يبقى جديد من الدنيا ولا خلق *

* صدت امامة لما جئت زائرها * عنى بمطروفة انسانها غرق *
* وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها * كذاك يصفر بعد الخضرة الورق *

وقال ابن الرومى وجود

* كبرت وفى خمس وستين مكبر * وشبت فاجمال المها منك نفر *
* اذا ما رأتك البيض صدت وربما * غدوت وطرف البيض نحوك اصور *
* وما ظلمتك الغانيات بصدها * وان كان من احكامها ما يجور *
* اعر طرفك المرآة وانظر فان نبا * بعينك عنك الشيب فالبيض اعذر *
* اذا شنئت عين الفتى وجه نفسه * فعين سواه بالشناءة اجدر *

فاما قوله فى الابيات التى نحن فى الكلام على معناها * فلصت صبابتها كظل الطائر * فانما يريد به سرعة انتقاله وزواله لان ظل الطائر وشيك الزوال متدارك الانتقال واما قوله * وارى المنايا ان رأت بك شيبة * والبيت الذى بعده واوله * تعشو الى ضوء المشيب فتهتدى * فاننى رأيت هذا المعنى لابن الرومى فى قطعة له وما رأيته لاحد قبله ويقوى فى الظن انه سبق اليه والابيات

* كفى بسراج الشيب فى الرأس هاديا * الى من اضلته المنايا لياليا *
* أمن بعد ابداء المشيب مقاتلى * لرامى المنايا تحسبينى ناجيا *
* غدا الدهر يرمينى فتدنو سهامه * لشخصى اخلق ان يصبن سواديا *
* وكان كرامى الليل يرمى ولا يرى * فلما اضاء الشيب شخصى رمانيا *

ولقد احسن فى البيت الاخير كل الاحسان لان المعنى الذى قصده تكامل فيه وانتهى الى الغاية عنده وساعده اللفظ وحسن العبارة فلم يبق عذر فى قبول القلوب له وعلوقها به ومن شان ابن الرومى ان يورد المعنى ثم ياخذ فى شرحه فى بيت آخر وايضاحه وتشعيبه وتفريعه فربما اخفق واكدى وربما اصاب فاصمى لان الشعر انما يحمد فيه الاشارة والاختصار والايماء الى الاغراض وحذف فضول القول وفى هذه الابيات قد اتفق له انه لما كرر المعنى واعاده وابداه خلص فى البيت الاخير وصفا وعذب مذاقة لانه فى اول البيت قد اشار الى هذا المعنى الموجود فى آخرها وفى البيت الثانى ايضا قد اعاد ذلك وفى البيت الثالث قد ألم بالمعنى بعض الالمام لانه ذكر ان سهام الدهر تقرب منه واخلق ان تصيب

سواده يعنى شخصه ولم يذكر العلة فى اصابتها له وهى اضاءة الشيب لمقاتله وهدايتها الى مراميه كما ذكره فى البيتين الاولين وطبق المفصل فى البيت الرابع لانه جعل الدهر فى زمان الشباب يرميه بسهامه وهو لا يراه لان سواد شبابه ساتر له ومعنى كرامى الليل الرامى فى الليل فالليل ظرف للرامى وليس بمفعول صحيح ثم قال * فلما اضاء الشيب شخصى رمانيا * ومعنى رمانيا اصابنى كما قال الشاعر

* ولما رمى شخصى رميت سواده * ولا بد ان يرمى سواد الذى يرمى *

وفى شعرى ما يشبه هذا المعنى وهو

* ولاح بمفرقى قبس منير * يدل على مقاتلى المنونا *

فاما قوله رحمه الله فى الابيات * ولقد يكون وماله من عاذل * فمعناه متكرر فى الشعر مترد والشباب ابدا يوصف بان صاحبه معذور مغتفر الجرم وذو الشيب مؤاخذ بما لم يجنه متجرم عليه * وقوله فى آخر الابيات * عذر الملول وحجة للغادر * من لطيف القول وسليم النسج

وله من اثناء قصيدة

* لهفى لايام الشباب على ندى * اطرافهن وظلهن الابرد *
* ايام انفض للمراح ذوائبى * واروح بين معذل ومفند *

ومنها

* وبياض ما بينى وبين احبتى * يوم اللقاء من العذار الاسود *

وله من اثناء قصيدة

* ولم يبق لى فى الاعين النجل طربة * ولا ارب عند الشباب الذى يمضى *
* صحا اليوم فى ظل الشبيبة مفرقى * وابدل مسود العذار بمبيض *

وله من جملة قصيدة

* ليالى من لى برد الشباب منى غصن رطيب المجانى *
* وقد رحل البيض من لمتى * بطفل الامانى بض البنان *

أفالآن

* أفالآن لما اضاء المشيب * وامسى الصبى ثانيا من عنانى *
* وقد صقل السيف بعد الصدا * وبان لظى النار بعد الدخان *
* يرد الزمان علىّ الهوى * ويطمع فى هفوة من جنانى *

اما تشبيه السواد فى الشعر بالصدأ وبياض الشيب بالصقال والجلاء فمذهب معروف متداول لكن الغريب المليح تشبيه سواد الشباب بالدخان وبياض الشيب ببياض النار

ولە فى ذم المشيب وهى قطعة مفردة

* خذا اليوم كفى للبياع على النهى * فلم يبق للاطراب عين ولا اثر *
* وقد كنت لا اعطى العواذل طاعة * واعذر نفسى فى التصابى ولا عذر *
* تقضت لبانات الصبى وتصرمت * فلا نهى للآحى علىّ ولا امر *
* ولا تحسبا انى نضوت بطالتى * نزوعا ولكن صغر اللذة الكبر *
* ولا امترى ان الشباب هو الغنى * وان قل مال والمشيب هو الفقر *

ولە ايضا فى ذم المشيب وهى قطعة مفردة

* ياعذولى قد غضضت جماحى * فاذهبا اين شئتما بزمامى *
* بعد لوثى عمامة الشيب اختال ببردى بطالة وعرام *
* خفضت نزوة الشباب وحال الهم بين الحشا و بين الغرام *
* ايها الصبح زل ذميما فما اظلم يومى من بعد ذاك الظلام *
* ارمضت شمسك المنيرة فودى فمن لى بظل ذاك الغمام *
* غالطونى عن المشيب وقالوا * لا ترع انه جلاء الحسام *
* قلت ما امن من على الرأس منه * صارم الحد فى يد الايام *
* ان ذنبى الى الغوانى بشيبى * ذنب ذئب الغضا الى الآرام *
* كن يبكين قبله من وداعى * فبكاهن بعده من سلامى *

ما احسن هذه الابيات وارطب اطرافها واعذب ائتلافها

ولہ وهی قطعة مفردة

* لجام للمشيب ثنى جماحى * وذللنى لايامى وراضا *
* اقر بلبسه ولقد ارانى * اجاحده اباء وامتعاضا *
* تعوضت الوقار من التصابى * اشد على المعوض ما استعاضا *
* لوى عنى الخدود من الغوانى * وقطع دونى الحدق المراضا *
* فصار بياضه عندى سوادا * وكان سواده عندى بياضا *

اراد بالبيت الاخير ان بياض الشيب صار سوادا لقلبه اى هما وحزنا او انه سود ما بينه وبين حبائبه واظلم ما كان مشرقا من ودهن وكان سواده بياضا بمعنى الضد من هذه الاحوال

وله من قصيدة

* شيب وما جزت الثلاثين نزل * نزول ضيف بخيل ذى علل *
* يصرف عنه السمع ان ارغى الجمل * ولا يقول ان اناخ حى هل *
* كأنه لما طرا على عجل * سواد نبت عمه بياض طل *
* يجئ بالهم ويمضى بالاجل * فأوه ان حل وواها ان رحل *
* أبدل من الشباب لا بدل * سرعان ما رق الاديم ونغل *

لهذه الابيات حظ جزيل من قوة وفصاحة وقد قالت الشعراء فى تعجيل الشيب قبل اوانه فاكثرت والمراعى فى المعانى المتداولة المتناولة التجويد وقد قال ابن الرومى

* ارى بقر الانس منى تراع اطيش ما كنت عنها سهاما *
* وأنى تفرع رأسى المشيب * ولم اتفرع ثلاثين عاما *

قوله اطيش ما كنت عنها سهاما قد كرره شغفا به فى قوله ايضا

* اقول ومرت ظبيتان فصدتا * وراعتهما منى مفارق شيب *
* أأطيش ما كانت سهامى عنكما * تصدان عنى ان ذا لعجيب *

ومن جيد القول فى التلهف على الشباب والتأسف على فراقه قول ابن الرومى

* لا تلح من يبكى شبيبته * الا اذا لم يبكها بدم *
* عيب الشبيبة غول سكرتها * مقدار ما فيها من النعم *
* لسنا نراها حق رؤيتها * الا زمان الشيب والهرم *
* كالشمس لا تبدو فضيلتها * حتى تغشى الارض بالظلم *
* ولرب شئ لا يبينه * وجدانه الا مع العدم *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* دع للمشيب ذمه * ان له عندى يدا *
* اعتق من رق الهوى * مذللا معبدا *
* لكن هوى لى ان ارى * لون عذارى اسودا *
* مر البياضان عليه شائبا وامردا *
* ما اخلق البرد فلم * يبدل لى وجددا *

معنى البيت الاخير مليح جدا لان الاستبدال على العادة انما يكون مع الاخلاق والرثاثة ولا معنى لابدال ما لم يخلق وتجديده

﴿ وله وهو ابتداء قصيدة ﴾

* ترى نوب الايام يرجى صعابها * ويسأل عن ذى لمة ما اشابها *
* وهل سبب للمرء من بعد هذه * فدأبك يا لون الشباب ودابها *
* شربنا من الايام كأسا مريرة * تدار بايد لا يرد شرابها *

﴿ ومنها ﴾

* خطوب يعنّ الشيب فى كل لمة * وينسين ايام الصبى ولعابها *

﴿ وله وهى قطعة مفردة ﴾

* صدت وما كان لها الصدود * وازور عنى طرفها والجيد *
* تقول لما اخلق الجديد * اذا البجال ذلل الوليد *

البجال الشيخ الكبير

* فاين ذاك الخضل الاملود * ريان من ماء الصبى يميد *
* تصحبه اللحظ العذارى الغيد * غدا الغزال اليوم وهو سيد *
* قلت نعم ذاك الذى اريد * مضى حبيب قلما يعود *
* اشد ما اوجعنى الفقيد * ايامنا بعد البياض سود *

وله وهى قطعة مفردة

* قال لى عند ملتقى الركب عمرو * قوّم العود بعدنا فانصاتا *
* اين ذاك الصبى وذاك التصابى * سبقا الطالب المجدّ وفاتا *
* من قضى عقبة الثلاثين يغدو * راجعا يطلب الصبى هيهاتا *
* لم تزل والمشيب غير قريب * ناعيا للشباب حتى ماتا *
* كنت تبكى الاحياء فاستكثر اليوم من الدمع واندب الامواتا *

وله وهى قطعة مفردة

* تشاهقن لما ان رأين بمفرقى * بياضا كأن الشيب عندى من البدع *
* وقلن عهدنا فوق عاتق ذا الفتى * رداء من الحوك الرقيق فما صنع *
* ولم ار عضبا عيب منه صقاله * وكان حبيبا للقلوب على الطبع *
* وقالوا غلام زين الشيب رأسه * فبعدا لرأس زانه الشيب والنزع *
* تسلى الغوانى عنه من بعد صبوة * وما ابعد النبت الهشيم من النجع *
* وكن يخرقن السجوف اذا بدا * فصرن يرقعن الخروق اذا طلع *

وله وهو ابتداء قصيدة

* ألهاك عنا ربة البرقع * مر الثلاثين الى الاربع *
* انت اعنت الشيب فى مفرقى * مع الليالى فصلى او دعى *

وله وهى قطعة مفردة

* أأميم ان اخاك غض جناحه * بيض طردن عن الذوائب سودا *
* عقب الجديد اذا مررن على الفتى * مر القوادح لم يدعن جديدا *

* قد كان قبلك للحسان طريدة * فاليوم راح عن الحسان طريدا *
* حولن عنه نواظرا مزورة * نظر القلى ولوين عنه خدودا *
* نشد التصابى بعدما ضاع الصبى * عرضا لعمرك يا اميم بعيدا *

وله وهى قطعة مفردة

* تمل من التصابى قبل تمسى * ولا امم صباك ولا قريب *
* سواد الرأس سلم للتصابى * وبين البيض والبيض الحروب *
* وولاك الشباب على الغوانى * فبادر قبل يعذلك المشيب *

هذا المصراع من البيت الاخير مليح اللفظ

وله من جملة قصيدة

* راحت تعجب من شيب ألمّ به * وعاذرا شيبه التهمام والاسف *
* ولا تزال هموم النفس واردة * رسل البياض الى الفودين تختلف *
* ان الثلاثين والسبع التوين به * عن الصبى فهو مزورّ ومنعطف *

قوله * وعاذرا شيبه التهمام والاسف * من اخصر عبارة وابلغها من هذا المعنى

وله من اثناء قصيدة

* فيا حادى السنين قف المطايا * فهن على طريق الاربعينا *
* واب الرأس بعدك صوحته * بوارح شيبة فغدا حنينا *
* وكان سواده عند الغوانى * يعدن الى مطالعه العيونا *
* اتاجرها فاربح فى التصابى * وبعض القوم يحسبنى غبينا *
* أهان الشيب ما اعززن منه * وعز على العقائل ان يهونا *
* جنون شبيبة ووقار شيب * خذا عنى الصبى ودعا الجنونا *

وله من قصيدة

* وطارق للشيب حييته * سلام لا الراضى ولا الجاذل *
* اجرى على عودى ثقاف النهى * جرى الثقافين على الذابل *

* واعرنى عقر مراحى له * لا در در الشـيب من نازل *
* فاليـوم لا زور ولا طربة * نام رقيبى وصحا عاذلى *

﴿ وله من قصيدة ﴾

* ورأت وخط مشيب طارق * وخط التهمام قلبى فوخط *
* مالهـا تنكر مع هذا الشجى * وقعات الشيب بالجعد القطط *

﴿ وله وهو ابتداء قصيدة ﴾

* من شافعى وذنوبى عندها الكبر * ان البياض لذنب ليس يغتفر *
* رأت بياضك مسـودا مطالعه * ما فيـه للحب لا عـين ولا اثر *
* واى ذنب للون راق منظره * اذا اراك خلاف الصبغة النظر *
* وما عليك ونفسى فيك واحـدة * اذا تلون فى ألوانه الشعر *
* انساك طول نهار الشيب آخره * وكل ليل شباب عيبه القصر *
* ان السـواد على لذاته لعمى * كما البياض على علاته بصر *
* البيض اوفى وابقى لى مصاحبة * والسود مستوفزات للنوى غدر *
* كنت البهيم واعلاق والهوى جدد * فاخلقتك حجول الشيب والغرر *
* وليس كل ظـلام رام غيهبه * يسر خابطـه ان يطلع القمر *

تسـلية الغوانى النـافرات من الشيب الحائدات عن صاحبه بان حلوله ما احال عهدا ولا غير ودا طريق مسلوكة وجدد مألوفة وسيأتى فى شعرى من هذا المعنى ما يوقف عليه فى موضعه ومن جملة قولى

* وما ضرنى والعهد غير مبدل * تبدل شرخى ظالما بمشيبى *

﴿ وقولى ﴾

* ان كنت بدلت لونا * فما تبـدلت حبا *

﴿ وقولى ﴾

* ولا لوم يوما من تغير صبغتى * اذا لم يكن ذاك التغير فى عهدى *

واما قوله رحمه الله * انسـاك طول نهار الشيب آخره * فمعنـاه ان الشيب لامتداد

ايامه

ايامه ينسى ذكر عواقبه ومصائره التي هي الموت والفناء ومن مليح اللفظ قوله * وكل ليل شباب عيبه القصر * واما قوله البيض اوفى وابقى لي مصاحبة فنظيره قول الشاعر

* والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس *

ومن شعري قولي

* عمر الشباب قصير لا بقاء له * والعمر في الشيب يا اسماء ممدود *

ولة من قصيدة

* شيع بالقطر الروا * ذاك الشباب الراحل *
* ما سرني من بعده الاعواض والبدائل *
* ما ضر ذي الايام لو * ان البياض الناصل *
* كل حبيب ابدا * ايامه قلائل *
* ظل وكم يبقى على * فوديك ظل زائل *
* لقد رأى بعارضيك ما احب العاذل *
* واسترجعت منك اللحاظ الخرد العقائل *
* واغمدت عنك نصول الاعين القواتل *
* فلا الدمالج يقعقعن ولا الخلاخل *
* فان وعدن فاعلمن * ان الغريم ماطل *
* ووعد ذي الشيبة بالوصل غرور باطل *

وله من قصيدة

* ما لقائي من عدوي * كلقائي من مشيبي *
* موقد نارا اضاءت * فوق فودي عيوبي *
* وبياض وهو عند البيض من شر ذنوبي *

يمكن ان يكون معنى قوله رضي الله عنه اضاءت فوق فودي عيوبي انها كانت مستورة بالشباب معرض عن ذكرها والتقريع بها لوسيلة الشباب وفضيلته فلما

مضى ظهر منها ما كان مستورا خافيا ويمكن غير هذا الوجه وهو انه لم يرد ان عيبا له كان كامنا مستورا فظهر بل يريد انه بالمشيب تمحلت له عيوب وتكذبت عليه واشيعت عنه وان ضوء المشيب هو الذى كان السبب فيها ويمكن وجه ثالث وهو ان يريد بالعيوب نفس الشيب لا شيئا سواه وانه لما اضاء برأسه وعيب به كان مظهره وناشره فى رأسه كأنه مظهر لعيوبه ومعلن لها

ولهُ وهو ابتداء قصيدة

* ما للبياض والشعر * ما كل بيض بغرر *
* صفقة غبن فى الهوى * يبيع بهيم باغر *
* صغره فى اعين البيض بياض وكبر *
* لولا الشباب ما نهى * على المها ولا امر *
* ما كان اغنى ذلك المفرق عن ضوء القمر *
* قد كان صبح ليله * امرّ صبح ينتظر *
* واها وهل يغنى الفتى * بكاء عين لا اثر *
* ياحبذا ضيفك من * مفارق وان غدر *
* ابن غزال داجن * رأى البياض فنفر *
* هيهات رئم الرمل لا * يدنو الى ذئب الخمر *

من بارع القول ومليحه قوله رحمه الله * ما كل بيض بغرر * ومثل ذلك قولهم ما كل بيضة شحمة لان بياض اللون قد يشترك فيه الممدوح والمذموم والمراد والمكروه والبيت الثانى معناه ان من باع الشباب وهو البهيم بالشيب وهو الاغر فقد غبن وموضع العجب ان الاغر افضل وانفس من البهيم فكيف انعكس ذلك فى الشيب والشباب • ونظير هذا المعنى من شعرى قولى

* ان البهيم من الشباب ألذّ لى * فلتغذنى اوضاحه وحجوله *

فاما قوله رحمه الله * صغره فى اعين البيض بياض وكبر * فمن العجب ان يصغر الكبر ونظير هذا البيت قول البحترى

* صغر قدرى فى الغانيات وما * صغر صبا تصغيره كبره *

واما

واما قوله ما كان اغنى ذلك المفرق فالليل لا يستغنى عن القمر بل يفتقر اليه اشد فقر الا ان المشبه بالليل من الشباب مستغن عن المشبه بالقمر من ضوء المشيب وهذا المعنى يمضى كثيرا فى الشعر وسيجئ منه فى شعرى ما اذكره فى مواضعه بمشيئة الله • وقوله رحمه الله * بكاء عين لا اثر * من مطبوع القول ومقبوله ولقائل ان يقول فى البيت الذى هو

* يا حبذا ضيفك من * مفارق وان غدر *

اى غدر يليق بالشباب وهو لم يفارق مختارا بل مضطرا فالجواب عنه ان الغدر بالفراق انما يكون متى كان عن غير سبب اوجب المفارقة ومع الايثار للمواصلة والمقام فكأن الشباب لما تعجل قبل حينه واوان فراقه من غير سبب من ذى الشباب اوجب ذلك نسب اليه الغدر توسعا واستعارة وتشبيها

وله من قصيدة

* يا قاتل الله ريعان الشباب وما * خلى على من الاشجان والغلل *
* وروضة من سواد الرأس حالية * كان المشيب اليها رائد الاجل *
* قالوا الخضاب لود البيض مطمعة * قد ضل طالب ود البيض بالحيل *

فقوله رحمه الله * كان المشيب اليها رائد الاجل * من الاحسان والعذوبة ما شاء

وله من قصيدة

* اليك فقد قلصت شرتى * بعيد البياض قلوص الظلال *
* وبدلت مما يروق الحسان من منظر ما يروع الغوالى *
* سواد تعذر زور البياض * علوق الضرام برأس الذبال *
* ومر على الرأس مر الغمام * قليل المقام سريع الزيال *

وله من قصيدة

* قل لزور الشيب اهلا انه * اخذ الغى واعطانى الرشد *

طارق قوم عودى بالنهى * بعد ما استغمز من طول الاود
وقر اليوم جموحا رأسه * جار ما جار طويلا وقصد
ظل لماع حلاه عارض * بعدما ابرق حيا ورعد

وله فى ذم الشيب وهى قطعة مفردة

لبس على الشيب للغوانى * وان تحملن من قرار
كأنما البيض من لداتى * ضرائر البيض من عذارى
ان خيمت هذه بارضى * تحملت تلك عن ديارى
ارين فى رأسى الليالى * شر ضياء لشر نار
تبدى الخفيات من عيوبى * وتظهر السر من عوارى
اعدو بها اليوم للغوانى * اعدى من الذئب للضوارى
وكن طربى الى طروقى * اذ ليل رأسى بلا درارى
فذ اضاء المشيب فودى * تورع الزور عن مزارى
مثل الخيالات زرن ليلا * وزلن مع طالع النهار

اما تشبيه النساء اللواتى يزرن مع سواد الشباب ويهجرن مع بياض المشيب بالخيال الذى يزور ليلا ويهجر نهارا فمن مليح التشبيه وغريبه

وله من قصيدة

ولم يلبثن غربان الليالى * نعيقا ان اطرن غراب راسى
وما زال الزمان يحيف حتى * نزعت له على مضض لباسى
نضا عنى السواد بلا مرادى * واعطانى البياض بلا التماسى
اروع به الظباء وقد اراتى * رميلا للغزال الى الكناس
وبغضنى المشيب الى لداتى * وهوننى البقاء على اناسى
خذوا بازمتى فلقد ارانى * قليلا ما يلين لكم شماسى
أليس الى الثلاثين انتسابى * ولم ابلغ الى القلل الرواسى
فمن دل المشيب على عذارى * وما جر الذيول الى غراسى

وله

ولە من جملة قصيدة

* وتلفعت ريطة من بياض * انا راض منها بما لا يرضى *
* ابرمت لى من صبغة الدهر لا يسرع فيها الا المنايا نقضا *
* مخبر فاحم ولون مضيٌّ * من رأى اليوم فاحما مبيضا *

قوله رحمه الله لا يسرع فيها الا المنايا نقضا يريد به ان بياض المشيب لا يحول ولا يزول الا بالموت وليس كسواد الشباب الذى يزول ببياض المشيب

وله من قصيدة

* يا قاتل الله الغوانى لقد * سقيننى الطرق بعيد الجمام *
* اعرضن عنى حين ولى الصبى * واختلج الهم بقايا العرام *
* وشاعت البيضاء فى مفرقى * شعشعة الصبح وراء الظلام *
* سيان عندى أبدت شيبة * فى الفود او طبق عضب حسام *
* ألقى بذلّ الشيب من بعدها * من كنت ألقاه بدلّ الغلام *
* ترى جميم الشعر لما ذوى * يراجع العظلم بعد الثغام *
* كم جدن بالاجياد لى والطلى * فاليوم يبخلن برد السلام *

عدل رحمه الله فى البيت الذى اوله ألقى بذلّ الشيب عن ان يقابل الذل بالعز الى مقابلته بالدل لان الدل بصورة الذل فى الخط والوزن وفيه ايضا معنى العز فهو أليق بالمقابلة واجمع لشروطها فاما العظلم فهو نبت اسود العصارة وقيل انه الوسمة والعرب تقول ليل عظلم اى مظلم

وله وقد حلق وفرته بمنى ورأى فيها شيئا من البياض وهى قطعة مفردة

* لا يبعدن الله برد شبيبة * ألقيته بمنى ورحت سليبا *
* شعر صحبت به الشباب غرانقا * والعيش مخضر الجناب رطيبا *
* بعد الثلاثين انقراض شبيبة * عجبا اميم لقد رأيت عجيبا *
* قد كان لى قطط يزين لمتى * ثروى السنان يزين الانبوبا *

* فاليوم اطلب للهوى متكلفا * حصرا وألقى الغانيات مريبا *
* اما بكيت على الشباب فانه * قد كان عهدى بالشباب قريبا *
* او كان يرجع ذاهب بتفجع * وجوى شققت على الشباب جيوبا *
* ولئن حننت الى منى من بعدها * فلقد دفنت بها الغداة حبيبا *

وله من جملة قصيدة

* ولقد اكون من الغوانى مرة * باعز منزلة الحبيب الاقرب *
* اقتادهن بفاحم متخايل * فيريننى ويرين لى ويرين بى *
* واذا دعوت اجبن غير شوامس * زفف النياق الى رغاء المصعب *
* فاليوم يلوين الوجوه صوادفا * صد الصحاح عن الطلى الاجرب *
* واذا لطفت لهن قال عواذلى * ذئب الرداه يريغ ود الربرب *
* فلئن فجعت بلمة فينانة * مات الشباب بها ولما يعقب *
* فلقد فجعت بكل فرع باذخ * من عيص مدركه الاعز الاطيب *

ولهذه الابيات ماشئت من معنى ولفظ وقوله يرين لى اى يوجبن حق فاما يرين بى فمعناه انهن يوجبن لغيرى الحق من اجلى والزفف ضرب من المشى والمصعب الفحل من الابل والرداه جمع ردهة وهى النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ومات الشباب ولما يعقب من مليح اللفظ

وكنا ذكرنا فى صدر الكتاب انا اخرجنا من ديوان اخى رحمه الله مبلغا عيناه ووقع الينا بعد ذلك من شعره ما زاد على ما ذكرناه من العدد والمخرج كله يزيد على الثلاثمائة بيت

(انقضى ما اخرجته لاخى رضى الله عنه)

وهذا ابتداء ما انتزعته من ديوان شعرى فى الشيب

لى من قصيدة اولها * لو لم تعاجله النوى لتحيرا

* جزعت لوخطات المشيب وانما * بلغ الشباب مدى الكمال فنورا *

* والشيب ان فكرت فيه مورد * لا بد يورده الفتى ان عمرا *
* يبيض بعد سواده الشعر الذى * ان لم يزره الشيب واراه الثرى *
* زمن الشبيبة لا عدتك تحية * وسقاك منهمر الحيا ما استغزرا *
* فلطالما اضحى ردائى ساحبا * فى ظلك الوافى وعودى اخضرا *
* ايام يرمقنى الغزال اذا رنا * شغفا ويطرقنى الخيال اذا سرى *

معنى * بلغ الشباب مدى الكمال فنورا * انه تكامل وانتهى الى غايته والزرع اذا تكامل وبلغ غايته نور وفى هذا الموضع زيادة على ما يمضى كثيرا فى الشعر من تشبيه الشيب بالنور لان ذاك انما يفيد تشبيهه به فى لونه وهذا البيت الذى يختص به يزيد مع انه يشبهه فى النور ان معنى الشيب مع النور فى الظهور والطلوع عند بلوغ الغاية وانما اردت تسلية من جزعت من شيبى من النساء بان الشيب لا بد منه عند الانتهاء الى غايته كما لا بد من النور فى هذه الحال

﴿ ولى من ابيات قد ذكرتها فى ما خرجته من شعرى مثل هذا بعينه وهو ﴾

* ورأت بياضا فى نواحى لمة * ما كان فيها فى الزمان السالف *
* مثل الثغام تلاحقت انواره * عمدا لتأخذه بنان القاطف *

والثغام نور ابيض تشبه العرب به الشيب فاما البيتان التاليان للبيت الاول فمعناهما واحد لان من عمر شاب والشعر الاسود رهن يشيب مع البقاء او بالتراب عند الفناء وقد تكررت هذه القسمة فى كثير من شعرى وانت ترى ذلك فى مواضعه ومن جملة ما يشبه ذلك لى

* من عاش لم تجن عليه نوب * شابت نواحى راسه او هرما *

وقولى * ومن ضل عن ايدى الردى شاب مفرقا * وهذه القسمة اصح من قسمة البحترى فى قوله

* ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر *

لان تلك القسمة اشتبهت على الآمدى حتى تكلم فيها فى ما بينا الزلل منه فان قيل كيف تصح قسمتكم بانه لا بد من الشيب مع طول العمر وفى الناس من لا يشيب على وجه ولا سبب والجواب عن ذلك ان فى الناس من يتأخر شيبه ولا بد مع

استمرار بقائه من بياض سواد شعره ولو كان فيهم من لا يشيب مع البقاء الاطول وليس الامر كذلك لكانت القسمة صحيحة ومحمولة على انه لا بد مع طول العمر من الشيب او من ورود زمانه فان زمانه اذا وفد وورد فهو كالوارد الوافد وان عاق عنه فى بعض الناس عائق وهذا السؤال لا يتأتى فى قولى * شابت نواحى راسه او هرما * لاننى جعلت من عاش بين موت او هرم فان قيل جزع النساء انما هو من الشيب وانما يسلين عنه بانه لا بد مع العمر من حلوله واذا كان منه بد فلا تعزية قلنا انما تجزع النساء من الشيب لما فيه من اضعاف القوة واكلال الجوارح واطفاء السورة والكبر والهرم يكون معه ذلك كله وان لم يظهر شيب الشعر فقد بان انه لا بد مما يجزع النساء منه

﴿ ولى من قصيدة اولها * اظنك من جدوى الاحبة قانطا ﴾

* وغر الثنايا رقتهن بلمتى * فواعدنها زورا من الشيب واخطا *
* سواد يبريني وان كنت مذنبا * ويبسط من عذرى وان كنت غالطا *
* ويسكنني حب القلوب وطالما * ألفت على ضمى اكفا سبائطا *

معنى البيت الاول ان الحسان اللواتى يوصفن بوضوح الثنايا لما رأين اللمة السوداء فغبطن بها واغتبطن منها تعللن بان واعدنها زمان الشيب الذى يمحو حسنها ويذهب ببهجتها ومعنى البيت الثانى يجئ كثيرا فى الشعر وان الشباب معذور الجناية مغتفر الذنب والشيب بالضد من ذلك وسيجئ من شعرى مترددا

﴿ ولى من قصيدة اولها * حييت يا ربع اللوى من مربع ﴾

* شعر شفيعى فى الحسان سواده * حتى اذا ما ابيض بى لم يشفع *
* عوضت قسرا من غداف مفارقى * وهى الغبينة بالغراب الابقع *
* لون تراه ناصعا حتى اذا * خلف الشباب فليس بالمستنصع *

من العجب ان تتغير قبول الشفاعة ونجح الوسيلة بتغير الصبغة وهذا معنى يختص بالسبب فاما البيت الاخير فغريب المعنى لان لون البياض انصع الالوان واشرفها واحسنها هذا فى الجملة واذا كان البياض بدلا من الشباب كان مستقبحا

مستهجنا

مستهجنا منفورا عنه متباعدا منه وهذا من عجائب لون الشيب ومن لطيف ما نبه عليه واشير اليه وتشبيه الشعر الذى ابيض بعضه وباقيه اسود بالغراب الابقع من غريب التشبيه لان الشعراء قد شبهت الشباب بالغراب والغداف واكثرت من ذلك وما ورد تشبيه الشيب الممتزج بالسواد بالغراب الابقع فان قيل اذا شبهوا الشباب بالغراب والغداف قبح هذا التشبيه تشبيه المختلط بالغراب الابقع قلنا هو كذلك الا ان هذا لا يدفع استغراب هذا التشبيه وانه غير متداول مبتذل وممن سبق الى هذا المعنى ابو حية النميرى فى قوله

* زمان علىّ غراب غداف * فطيره الشيب عنى فطارا *

ووجدت لبعض الاعراب ممن لا اعلم تقدمه لزمان ابى حية او تأخره

* وكأنما الشيب الملم بلمتى * باز اطار من الشباب غرابا *

ونظير بيته الاعرابى قول ابى دلف

* ارى بازى المشيب اطار عنى * غرابا حب ذلك من غراب *

ومثله لابن المعتز

* وارسل الشيب فى رأسى ومفرقه * بزاته البيض فى غربانى السود *

ونظير قول ابى حية ليزيد بن الطثرية

* واصبح رأسى كالصخيرة اشرقت * عليها عقاب ثم طار غرابها *

ولى ايضا

* صدت وما صدها الا على ياس * من ان ترى صبغ فوديها على راسى *
* احبب اليها بليل لا يضئ لها * الا اذا لم تسر فيه بمقباس *
* والشيب داء لربات الحجال اذا * رأينه وهو داء ما له آسى *
* يا قربهن ورأسى فاحم رجل * وبعدهن وشيبى ناصع عاسى *
* ماذا يريبك من بيضاء طالعة * جاءت بحلمى وزانت بين جلاسى *
* وما تبدلت الا خير ما بدل * عوضت بالشيب انوارا بانقاس *

معنى البيت الاول انها لم تصد عنه الا بعد يأسها من شبابه ويقينها بفوته والبيت

الثانى من غريب الصنعة لطيف البناء لان الليل من شأنه ان يضئ بالانوار والمصابيح والنجوم الا الشباب المشبه لليل فانه يضئ لمبصره ويحسن فى عينه اذا كان خاليا من ضوء المشيب ونوره ويظلم اذا طلعت انوار المشيب واضواؤه فيه وهذا عكس المعهود والعبارة عن فقد معاينة الشيب فيه بانها لم تسر فيه بمقباس لا تجهل بلاغتها وحلاوتها والنقس المداد وعلى الظاهر والمعهود والانوار افضل وافخر من الانقاس

﴿ ولى من قصيدة اولها * عل البخيلة ان تجود لعاشق ﴾

* صدت وقد نظرت سواد قرونها * عنى وقد نظرت بياض مفارق *
* وتعجبت من جنح ليل مظلم * أنى رمى فيه الزمان بشارق *
* وسواد رأس كان ربع احبة * رجع المشيب به طلول معاشق *
* يا هند ان انكرت لون ذوائبى * فكما عهدت خلائقى وطرائقى *
* ووراء ما شنئته عينك خلة * ما شئت من خلق يسرك رائق *
* أوميض شيب ام وميض بواتر * قطعن عند الغانيات علائقى *
* وكأن طلعة شيبة فى مفرق * عند الغوانى ضربة من فالق *
* ومعيرى شيب العذار وما درى * ان الشباب مطية للفاسق *
* ويقول لو غيرت منه لونه * هيهات ابدل مؤمنا بمنافق *
* والشيب املا للصدور وان نبت * عن لونه فى الوجه عين الرامق *
* واذا ليالى الاربعين تكاملت * للمرء فهو الى الردى من حالق *

اردت انها لما رات سواد شعرها وبياض شعرى ظهر لها تضاد ما بيننا وتباعده فصدت واعرضت وتشبيه الشعر الاسود بالليل والشيب بالنجوم والشهب قد ذكرنا انه يتردد فى الشعر ومعنى البيت الثالث ان الشباب كان للانس به كالربع المسكون الذى تحله الاحبة ولما علاه الشيب صار كالطلول وهى الرسوم التى لا تسكن ولا تحل وفى البيتين الرابع والخامس تسلية لمن صد من النساء عن الشيب لان الخلائق معه والطرائق كما عهدت وألفت وانه لم ينقص جلدا ولا غير ودا ولا حل عقدا وليس يعزى عنه بابلغ من هذا القول

ولما كان الشيب قاطعا علائق الغوانى وباتا لحبالهن حسن التشكل فى بياضه وومضه هل هو لشيب ام لسيوف بواتر قطعت علائق الحب ووصائله وانما اضفت فى البيت السابع الى الغوانى ازال حلول الشيب فى الرأس منزلة حلول الضربة الفالقة له لان هذا حكم موقوف على الغوانى والنساء لانهن الجازعات من الشيب دون الرجال وانما عادل النساء بين شيب الرأس والضربة الفالقة له لانه عندهن بعد الشيب لا منفعة فيه ولا متعة به كما لا منفعة بالرأس الفيلق ووصفت الشباب فى البيت الثامن بانه مطية الفاسق من حيث الاستعانة به على بلوغ الاغراض ونيل الاوطار تجرى مجرى المطية التى توصل الى بعيد الوطر وهذا احسن من قول ابى نواس * كان الشباب مطية الجهل * وفى الناس من يرويه مظنة بالظاء المعجمة والنون وانما تقدم عليه لان الجهل يرجع الى الاعتقاد بالقلب وليس للشباب معونة على ذلك اللهم الا ان يريد بالجهل الافعال القبيحة التى يدعو اليها الجهل فقد يسمى ما يدعو اليه الجهل الذى هو الاعتقاد من الافعال جهلا على سبيل المجاز والاستعارة وهذا ما اراد ابو نواس لا محالة والترجيح باق لانه استعمل لفظة الجهل فى غير موضعها ولان ليس كل من فعل قبيحا فعن جهل يقبحه بل اكثر من يرتكب القبيح يرتكبه مع العلم بقبحه فوصف الشباب بانه مطية للفاسق اصح معنى وابلغ لفظا فاما وصف الخضاب بانه منافق والشباب بانه مؤمن فمن غريب الوصف وبديعه ولا اعرف نظيره لان المؤمن ظاهره وباطنه سواء والشيب اذا لم يخضب كذلك والمنافق يخالف ظاهره باطنه والشعر المخضوب كذلك * واحسن ابن الرومى فى قوله يصف الخضاب بانه لا طائل فيه

* اذا كنت تمحو صبغة الله قادرا * فانت على ما يصنع الناس اقدر *

ولى من قصيدة اولها * الا ارقت لضوء برق اومضا

* ولقد اتانى الشيب فى عصر الصبى * حتى لبست به شبابا ابيضا *
* لم ينتقص منى اوان نزوله * بأسا اطال على العداة واعرضا *
* فكانما كنت امرءا مستبدلا * اثوابه كره السواد فبيضا *

اردت ان الشيب لما طرق قبل كبر السن والهرم كان ما يرى من بياض شعره

كانه شباب لانه فى زمان الشباب وان تغير ظلما لونه وهذا عكس قول البحترى

* وشيبة فيها النهى فاذا بدت * لذوى التوسم فهى شيب اسود *

فشباب ابيض عكس شيب اسود ومعنى البيتين الاخيرين تردد كثيرا فى الشعر لان عذر كل من اعتذر للشيب انما هو بانه ما فل حده ولا اوهن قوته ولا غير حزمه وقد قال الشاعر

* لم ينتقص منى المشيب قلامة * الآن حين بدا اكبّ واكيس *

وما تعوض عنه من لون الشباب بلون المشيب بمن استبدل ثوبا اسود بابيض من بارع التشبيه ونادره لان تبديل الشباب المختلفة الالوان لا تغير جلدا ولا توهن عضدا واذا وصف بمثل ذلك من تغير لون شعره فهو الغاية فى المعنى المقصود ونظير هذا المعنى بعينه من شعرى مما سيجئ ذكره

* فلا تنكرى لونا تبدلت غيره * كمستبدل بعد الرداء رداء *

﴿ ولى ايضا ﴾

* اما الشباب فقد مضت ايامه * واستل من كفى الغداة زمامه *
* وتنكرت آياته وتغيرت * جاراته وتقوضت آطامه *
* ولقد درى من فى الشباب حياته * ان المشيب اذا علاه حمامه *

﴿ ولى ايضا ﴾

* ألا حبذا زمن الحاجرى * واذ انا فى الورق الناضر *
* اجرر ذيل الصبى جامحا * بلا آمر وبلا زاجر *
* الى ان بدا الشيب فى مفرقى * فكانت اوائله آخرى *

المراد بالورق الناضر هاهنا الشباب وانما يوصف بذلك لغضاضته وبهجته ورونقه ومعنى * بلا آمر وبلا زاجر * انه لفرط جماحه وشدة تتابعه لا يؤمر ولا ينهى لليأس من اقلاعه وانصرافه ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون من حيث عصى العذال وخالف النصحاء كأنه غير مأمور ولا منهى ولا مزجور وان كان ممن امر لفظا ونهى واما * فكانت اوائله آخرى * فن الاختصارات البليغة

ومعنى آخرى نهاية عمرى وغاية مدتى ويحتمل ايضا ان يريد انه آخر سرورى ولذتى وانتفاعى بالعيش ومتعتى ويجوز ان يكونا جميعا مرادين فاللفظ يسير والمعنى كثير كما تراه

﴿ ولى من قصيدة اولها * رضينا من عداتك بالمطال ﴾

* وبيض راعهن البيض منى * فقطعن العلائق من حبالى *
* جعلن الذنب لى حتى كأنى * جنيت انا المشيب على جمالى *
* وليس الشيب من جهتى فألحى * ولا رد الشبيبة فى احتيالى *

معنى البيت الثانى والثالث يتردد كثيرا فى الشعر وفى شعرى خاصة وهو حجة لمن عيب بالشيب واضحة لان المؤاخذة لا تكون الا بالذنوب ولا صنع لذى الشيب فى حلوله به وقد يتبرأ من الذم به تارة بانه من غير فعله ولا اختياره وانه من الدهر ومن الايام او من الهموم والاحزان او من صد الحبائب وهجر الصواحب وسترى ذلك فى مواضعه فهو كثير

﴿ ولى من قصيدة اولها * بقاء ولكن لو انى لا اذمه ﴾

* خطوت مدى العشرين اهزأ بالصبى * فلما نأى عنى تضاعف همه *
* فياليت ما ابقى الشباب وجازه * سريعا على علاته لا يؤمه *
* وايت ترائى من شباب تعجلت * بشاشته عنى تأبد عدمه *
* مشيب اطار النوم عنى اقله * فكيف به ان شاع فى الرأس عظمه *

اردت اننى كنت محتقرا لزمان الصبى مستهينا به حتى عدمته فحزنت له والشئ لا يظهر فضله الا مع الفقد والبعد واردت بما ابقى الشباب من بقاياه وعقابيله ويحتمل ان يراد بما ابقاه وخلفه عندى من الشيب فكأننى اشفقت من لحوق الباقى بالماضى فى الذهاب منى والتقضى عنى * فاما التألم من قليل الشيب فاحسن ما قيل فيه قول ابن الرومى

* طرقت عيون الغانيات وربما * امالت الىّ الطرف كل مميل *
* وما شبت الا شيبة غير انه * قليل قذاة العين غير قليل *

وهذا من بارع المعنى واللفظ ولو لم يكن لابن الرومى فى الشيب الا هـذا البيت الواحد لكفاه * وقد اعاد ابن الرومى هذا المعنى بعينه فى قوله

* اصبحت اعين الغوانى عدتنى * ولعهدى بها الى تميل *
* طرفتهن شيبة وقـذاة العـين لا يستقل منه القليل *

و بين هذا وبين قوله * قليل قذاة العين غير قليل * فى الفصاحة والبلاغة كما بين سماء وارض وكل وبعض

﴿ ولى من قصيدة اولها * ما الحب الا موئل المتعلل ﴾

* اما وقد صبغ المشيب ذوائبى * للناظرين فلات حـين تغزلى *
* وازال من خطر المشيب توجعى * علمى بان ليس الشباب بمعقل *
* فلئن جزعت فكل شئ مجزعى * ولئن امنت فشيمة المسترسل *

معنى البيت الثانى ان الشبـاب لا يؤمن من خطر الموت ولا يحصن من هجومه فقد لحق بالشيب فى تطرق الاخطار اليه فما معنى التوجع منه و التألم من خطره * وقد نطق البيت الثالث باننى ان كنت جازعا فيجب ان اجزع من كل حال لتطرق الاخطار عليها وان اطرحت الجزع ولزمت الاستسلام فهى شيمة المسترسل الذى يطيب عيشه وتستمر لذته

﴿ ولى ابيات مفردة فى الشيب وهى ﴾

* اشيب ولمـا تمض خمسـون حجة * ولا قاربتنى ان هـذا من الظـلم *
* ولو انصفتنى الاربعون لنهنهت * من الشيب زورا جاء من جانب الهم *
* قرعت له سنى ولو استطيعه * قرعت له ما لم تر العين من عظمى *
* يقولون لا تجزع من الشيب ضلة * واسهمه اياى دونهم تصمى *
* وقالوا اتاه الشـيب بالحلم والحجى * فقلت بمـا يبرى و يعرق من لحمى *
* وما سرنى حـلم يفئ الى الردى * كفانى ما قبل المشيب من الحلم *
* اذا كان ما يعطينى الحلم سالبا * حياتى فقل لى كيف ينفعنى حزمى *
* وقد جربت نفسى القذاة و قاره * فـا شد من وهنى ولا سد من ثلمى *

* وانى مذ اضحى عذارى قراره * اعاد بلا سقم واجفى بلا جرم *
* وسيان بعد الشيب عند حبائبى * وقفن عليه او وقفن على رسم *
* وقد كنت ممن يشهد الحرب مرة * ويرمى باطراف الرماح كما يرمى *
* الى ان علا هذا المشيب مفارقى * فلم يدعنى الاقوام الا الى السلم *

هذه الابيات كثيرة المعانى فى وصف الشيب جيدة النسج ومعنى من جانب الهم اى من ناحيته لا من ناحية علو السن وقد ذكرنا هذا البيت مع نظيره من شعر ابى تمام ويجىء مثله فى الشعر وشعرى خاصة كثيرا • ومعنى البيت الثالث انى قرعت سنى هما وحزنا ولو استطعت لقرعت من عظمى ما هو خاف غير ظاهر للعين وهذا تأكيد لصولة الهم وسورة الحزن • ومعنى البيت الرابع ان المعزى لى عن الشيب بنجوة عن سهامه و يعد من ايلامه فلا نسبة بيننا • ومعنى البيت الخامس ان الشيب وان اعطى حلما فقد عرق لحما فهذا بذاك • والبيت السادس تضمن انه لا منفعة بحلم يفضى الى الموت لان الحلم وغيره من ادوات الفضل انما يراد للحياة زينة لها وفخرا فيها و لا خير فى ما افضى الى ابطال الحياة وهى الاصل فى المنافع وقد ذكرنا هذين البيتين مع نظيرهما من شعر ابى تمام • واما قولى اعاد بلا سقم فمعناه ان من توجع لى من الشيب وتألم من حلوله بى كأنه عائد لى لانه يظهر من الجزع والتألم ما يظهره العائد ولا شبهة فى ان الشيب ليس بسقم على الحقيقة فيعاد صاحبه واما قولى واجفى بلا جرم فيتردد فى الشعر كثيرا وانما يفضل موضع فيه على آخر لحلاوة العبارة وطلاوتها واختصارها وحسن موقعها وتشبيه وقوف النساء على الشيب بوقوفهن على الرسم الدارس المحيل واقع لان الرسم لا منفعة فى التعريج اليه والوقوف عليه ولا فائدة فيه ولا متعة به وكذلك الشيب عند النساء ولا شبهة فى ان ذا الشيب يستضعف جلده فلا يدعى الى الحرب وانما يدعى للسلم والموادعة وهذا من جهات ذم الشيب

﴿ ولى فى الشيب وهى قطعة مفردة ﴾

* شعر ناصع ووجه كئيب * ان هذا من الزمان عجيب *

* يا بياض المشيب لونك لو انصفت رأيك حالك غريب *
* صد من غير ان يمل وما انكر شيئا سواك عني الحبيب *
* يا مضيئا في العين تسود منه * كل يوم جوانح وقلوب *
* ليس لي مذ حللت يا شيب في رأسي كرها عند الغواني نصيب *
* ولخير من لونك اليقق المشرق عندي وعندهن الشحوب *
* رحن يدعونني معيبا و ينبذن عهودي وانت تلك العيوب *

اردت ان نصوع الشعر واشراقه يضاد اكتئاب الوجه وقطوبه فكيف اتفقا وهذا يحقق ان النصوع والاشراق محمود في كل شيء الا في لون الشيب ومعنى ان لونك حالك غريب لو انصفت لانه جالب للهم والحزن والسواد بذلك احق من البياض ويحقق ذلك البيت الرابع وانما جعلت الشيب رقيبا على الغانيات لانه يحشمهن من وصلي و يبعدهن عن قربي وهذا معنى الرقيب

﴿ ولي من قصيدة اولها * ريعت لتنعاب الغراب الهاتف ﴾

* ورأت بياضا في نواحي لمة * ما كان فيها في الزمان السالف *
* مثل الثغام تلاحقت انواره * عمدا لتأخذه بنان القاطف *
* ولقد تقول ومن اساها قولها * ما كان هذا في حساب العائف *
* اين الشباب واين ما يمشي به * في البيض بين مساعد ومساعف *
* ما فيك يا شمط العذار لرامق * عبق الجوانح بالهوى من شاعف *
* فليخل قلبك من احاديث الهوى * وليخل غمضك من مطيف الطائف *

اردت بقولي * عمدا لتأخذه بنان القاطف * انه قد انتهى بطلوع النور فيه الى غايته واستقطف للبنان وهذه اشارة الى ان الشيب يكون آخر العمر وانقطاع امده

﴿ ولي من قصيدة اولها * أأغفل والدهر لا يغفل ﴾

* ولما بدا شمط العارضين * لمن كان من قبله يعذل *

تناهوا

* تناهوا وقالوا لسان المشيب * له من جوارحنا اعزل *
* فقلت لهم انما بعذل المشيب على الغى من يقبل *
* امن بعد ان مضت الاربعون * سراعا كسرب القطا يجفل *
* ولم يبق فيك لشرخ الشباب * مآب يرجى ولا موئل *
* تطامح نحو طويل الحياة * ويوشك ان ما مضى اطول *

معنى انما يعذل المشيب من يقبل اى ينتفع بعذله من يقبل وجعلت من لم ينتفع بالعذل كأنه غير معذول كما قال الله تعالى انما انت منذر من يخشاها وقوله جل وعز انما تنذر من اتبع الذكر

﴿ ولى من قصيدة اولها * أمنك سرى طيف وقد كاد لا يسرى ﴾

* وبيض لواهن المشيب عن الهوى * فازرن من وصلى واوسعن من هجرى *
* وأزمننى ذنب المشيب كأنما * جنته يداى عامدا لابد الدهر *
* أمن شعرات حلن بيضا بمفرقى * ظننتن ضعفى او اسيتن من عمرى *
* لحاكن ربى انما الشيب فسحة * لما فات فى شرخ الشبيبة من امرى *
* سقى الله ايام الشبيبة ريها * ورعيا لعصر بان عنى من عصر *
* ليالى لا يعدو جمالى منيتى * ولم تردد الحسناء نهيى ولا امرى *
* وليل شبابى غارب النجم فاحم * ترى العين تسرى فيه دهرا بلا فجر *
* واذ انا فى حب القلوب محكم * وافئدة البيض الكواعب فى اسرى *

الاعتذار من الشيب بانه من جناية الدهر ولا عذر لذى الشيب فيه يجئ كثيرا فى الشعر وستراه من شعرى فى عدة مواضع بعبارات تختلف فى ضيق وسعة واختصار واطالة وتتفق فى عذوبة ورطوبة ومعنى الشيب فسحة ان المرء يستدرك فى زمان الشيب ما فاته فى زمان الشباب من صيانة وديانة ويتلافى ما لعله فرط فيه وضيع * واردت بقولى لا يعدو جمالى منيتى اننى اذا تمنيت لم يتجاوز مناى ما انا عليه من الجمال والكمال وهذا يدل على كمال الجمال وبلوغه الغاية ومعنى ليل شبابى غارب النجم اى لاشيب فيه ومثله ترى العين تسرى فيه دهرا بلا فجر وحظ هذا البيت من اختصار وبلاغة غير مجهول

﴿ ولي من قصيدة اولها * قد هويناه ناقضا للعهود ﴾

* قلن لما رأين وخطا من الشيب براسى اعيا على مجهودى *
* كسنا بارق تعرض وهنا * في حواشي بعد الليالى السود *
* أبياض مجدد من سواد * كان قدما لا مرحبا بالجديد *
* يا لحاكن من رماكن بالحسن لتقهرننا بغير جنود *
* ليس يبضى مني فاجزى عليهن صدودا وليس منكن سودى *
* قل ما ضركن من شعرات * كن يوما على الوقار شهودى *

معنى اعيا على مجهودى اى ضقت ذرعا بدفعه والبيت الثانى في الغاية من وصف الشيب بالجفاء وعدم الشمول والظهور ويجرى في التوقى من غاية الى اخرى مجرى قول الراعى

* كدخان مرتحل باعلى تلعة * غرثان ضرم عرفجا مبلولا *

ومعنى لا مرحبا بالجديد استثقال المشيب وان كان جديدا ومن شأن كل جديد ان تسر النفوس به في الغالب الا للشيب ومعنى ليس يبضى مني ما يتكرر من انه لا صنع لى في الشيب فاؤاخذ به ومعنى وليس منكن سودى اى ليس شبابى من جهتكن فتسرفن في التلهف على فوته والتأسف على فراقه فاما * كن يوما على الوقار شهودى * فيشهد لنفسه بالبراعة

﴿ ولي وقد سئلت نقض قول جرير ﴾

* تقول العاذلات علاك شيب * أهذا الشيب يمنعني مراحى *
* وما مرح الفتى تزور عنه * خدود البيض بالحدق الملاح *
* ويصبح بين اعراض مبين * بلا سبب وهجران صراح *
* وقالوا لا جناح فقلت كلا * مشيبي وحده فيكم جناحى *
* أليس الشيب يدني من مماتى * ويطمع من فلاتى في رواحى *
* مشيب شن في شعر سليم * كشن العرفى الابل الصحاح *
* كأني بعد زورته مهيض * ادف على الوظيف بلا جناح *

او

* او العانى تورط فى الاعادى * فسدّ عليه مطلع السراح *
* سقى الله الشباب الغض راحا * عتيقا او زلالا مثل راحى *
* ليالى ليس لى خلق معيب * فلا جدى يذم ولا مزاحى *
* واذ انا من بطالات التصابى * ونشوات الغوانى غير صاح *
* واذ اسماعهن الىّ ميل * يصخن الى اختيارى واقتراحى *

انما اردت كيف يمرح من يعرض عنه من النساء حسانهن وجفونه وقطعنه واى متعة فى العيش لمن كان بهذه الصفة وقولى فى البيت الثانى بلا سبب هو فى موضع الحشو لكنه حقق المعنى المقصود وتممه ولا يكادون يسمون من كان بهذا الموقع حشوا ومعنى * ويطمع من قلاتى فى رواحى * اى فى مماتى وانصرافى عن الدنيا يقال راح الرجل اذا مات والعر الجرب ومن حسن التشبيه اجراء الشيب فى حلوله بالشعر الاسود مجرى الجرب فى وقوعه بالابل الصحاح لانه وان لم يماثله من جهة اللون فهو فى معناه يشاكله لان العر اذا اصاب الابل بوعدت من الصحاح منها وهجرت خوف العدوى ومن شاب شعره مجفوّ بين النساء مقاطع مباعد والابيات كما ترى مبصورة الاغراض سليمة الالفاظ

﴿ ولى من قصيدة اولها * هل انت من وصب الصبابة ناصرى ﴾

* مالى وللبيض الكواعب هجن لى * بلوى الثوية ذُكرة من ذاكر *
* شيبنى وذمن شيب مفارقى * خذها اليك قضية من جائر *
* لا مرحبا بالشيب اظلم باطنى * لما تجللنى واشرق ظاهرى *
* شعر ابى لى فى الحسان اصاخة * يوم العتاب الى قبول معاذرى *
* مثل الشجاة ملظة فى مبلع * او كالقذاة مقيمة فى الناظر *
* لا ذنب لى قبل المشيب واننى * لمؤاخذ من بعده بجرائر *

لا شبهة فى ان اجور الناس من فعل شيئا ثم ذمه وعابه ومعنى اشرق ظاهرى واظلم باطنى قد مر تفسير مثله والبيت الاخير معناه ان ذنوب الشباب مغفورة وان وقعت وذو الشيب يؤاخذ بما جناه وما لم يجنه تجرما عليه

﴿ ولي من قصيدة اولها * يا طيف الا زرتنا بسواد ﴾

* ومخضب الاطراف صد بوجهه * لما رأى شيبي مكان سوادي *
* والغانيات لذي الشباب حبائب * واذا المشيب دنا فهن اعادي *
* شعر تبدل لونه فتبدلت * فيه القلوب شناءة بوداد *
* لم تجنه الا الهموم بمفرقي * ويخال جاء به مدى ميلادي *

ما تحتاج هذه الابيات الى منبه على سباطتها وعذوبة ألفاظها وان ماء القبول فيها مندفق مترقرق

﴿ ولي من قصيدة اولها * يا راكبا وصل الوجيف زميله ﴾

* من مانع عني وقد شحط الصبي * شيبا على الفودين آن نزوله *
* وافى هوى السلك خر نظامه * والشعب سال على الديار مسيله *
* سبق احترامي من اذاه بطيئه * لما تجللني فكيف عجوله *
* ما ضره لما اراد زيارة * لو كان بالايذان جاء رسوله *
* لا مرحبا ببياض رامي زائرا * اعيا علي حلوله ورحيله *
* من كان يرقب صحة من مدنف * فالشيب داء لا يبل عليله *
* نصل الشباب الى المشيب وانما * صبغ المشيب الى الفناء نصوله *
* ان البهيم من الشباب ألذ لي * فلتعدني اوضاحه وحجوله *
* اعجب به صبحا يود ظلامه * وشهاب داجية يحب افوله *
* قالوا المشيب نباهة واود ان * يبقى علي من الشباب خموله *
* والفضل في الشعر البياض وليته * لم يشجني بفراقه مفضوله *

الفودان جانبا الرأس والبيت الثاني الذي اوله وافى هوى السلك ابلغ من قول البحتري مشيب كبث السر عي بحمله محدثه لان البحتري لم يخرج نزول الشيب من ان يكون مستندا الى ايثار مؤثره وان توفرت دواعيه والبيت الذي لي يزيد على ذلك بالاضافة على ما يقع وجوبا اما بالطبع على قول من اثبته او على جهة الوجوب فهو اشد استيفاء للمعنى ولا بد من تقدير ما يضاف الى الشعب مما يليق

به

به لانه معطوف على السلك والسلك يليق به الهوى ولا يليق ذلك بالشعب فيجب ان يقدر فعل يليق به مثل سيل الشعب او ما اشبهه * وقد ذكرت ما يشبه بعض الشبه فى البيت الثالث من هذه الابيات عند ذكرما اخرجته للبحترى فاما البيت الرابع فمعناه ان الشيب هجم بغتة وفجأة فما ضره او قدم له نذيرا يشعر بوفوده وقرب وروده فيكون حمله اخف وخطبه اهون * ومعنى * اعيا علىّ حلوله ورحيله * انى لا اطيق دفع نزوله اذا نزل كما لا اطيق دفع رحيله اذا رحل وفارق بالموت والفناء وكاننى مقهور عليه فى جميع احواله وجعلت نصول الشيب الى الفناء كما كان نصول الشباب الى الشيب وكما كان الفناء عاقبة الشيب كان الشيب عاقبة الشباب وغايته وما عدا هذا من الابيات واضح المعنى يسبق الفهم اليه من غير تأمل

﴿ ولى من قصيدة اولها * امالك من مشيب ما امالا ﴾

* وكان الدهر ألبسنى سوادا * اروق به الغزالة والغزالا *
* نعمت بصبغه زمنا قصيرا * فلما حالت الاعوام حالا *

﴿ ولى من قصيدة اولها * ارقت للبرق بالعلياء يضطرم ﴾

* وعيرتنى مشيب الرأس خرعبة * ورب شيب بدا لم يجنه الهرم *
* لا تشكى كلوما لم تصبك فما * يشكو اذى الشيب الا القدر واللمم *
* شيب كما شب فى جنح الدجى قبس * او انجلت عن تباشير الضحى ظلم *
* ما كنت قبل مشيب بات يظلمنى * اظالم ابد الايام اظلم *

الخرعبة من النساء الطويلة الناعمة ويقاربه فى المعنى الخرعوبة لان الخراعيب الاغصان الرطبة السبطة ومعنى * ورب شيب بدا لم يجنه الهرم * لا تعيرى بما لا تعلمين انه عن هرم وضعف ونفاد عمر فان الشيب ربما كان عن غير كبر ولا هرم وهذه محاسبة صحيحة * ومعنى البيت الثانى ان الشيب ان كان عيبا او داء فهو بغيرك لا بك فلا تشكى منه * والبيت الثالث قوى فى حسن العبارة عن وضوح الشيب وظهوره * والبيت الرابع يتضمن غاية التمدح لانه كان يظلم من

يظلمه ويقهره الا الشيب فانه عزيز منيع الجانب وله نظائر فى شعرى منها وسيجئ

* ولو جنته يد ما كنت طائعها * لكن جناه على فودىّ غير يد *

﴿ ولى من قصيدة اولها * أترى يؤوب لنا الابيرق والمنى للمرء شغل ﴾

* وتعجبت جمل لشيب مفارقى وتشيب جمل *
* ورأت بياضا ما رأته بدا هنالك سواه قبل *
* كذبالة رفعت على الهضبات للسارين ضلوا *
* لا تنكريه وبت غيرك فهو للجهلات غل *
* اىّ المفارق لا يزار بذا البياض ولا يحل *

معنى البيت الاول لا تعيبى ما انت شريكة فيه وصائرة اليه وورد باخصر لفظ وعليه سؤال وهو ان يقال قد لا تشيب جمل بان تموت فالشيب ليس بواجب لها قلنا المراد انك اذا عمرت عمرى وبلغت سنى فلا بد من شيبك لانها عيرت وتعجبت من الشيب مع السن وهى شريكة فى ذلك لا محالة * والبيت الثانى فى اشتهار الشيب ووضوحه بديع بليغ * والعبارة بانه للجهلات غلّ من حيث انه قبض عن الشهوات وصرف عن المنكرات من ابلغ عبارة * والبيت الثالث تفسير الاول وتأكيد له ومثل وتشيب جمل قولى

* وعيرتنى شيبا ستكسين مثله * ومن ضل عن ايدى الردى شاب مفرقا *

﴿ ولى من قصيدة اولها * تولينا منك الغداة قليلا ﴾

* جزعت للمشيب جانية الشيب وقالت بئس النزيل نزيلا *
* ورأت لمة كان عليها * صارما من مشيبها مسلولا *
* راعها لونه ولم تر لولا * عنت الغانيات منه مهولا *
* عاينت لونه والحوادث ينكرن طلوعا لم ترج منه افولا *
* لا تذميه فالمشيب على طول بقاء الفتى يكون دليلا *
* ان لون الشباب حال اذا امتدّ زمان انى لها ان تحولا *
* لو تخيرت والسواد ردائى * ما اردت البياض منه بديلا *

* وحسام الشباب غير صقيل * هو اشهى الىّ منه صقيلا *
* قد طلبنا فما وجدنا عن الشيب محيصا يجيرنا او مميلا *

لمعنى البيت الاول نظائر كثيرة في الشعر وفي شعري خاصة ستري في مواضعها ولتشبيه الشيب في لونه بالسيف نظائر كثيرة في شعري خاصة وغيره عامة وهذا البيت يفيد تشبيه الشيب بالسيف لونا وقطعا لحبال المودة وارهابا لمن حل به وجرد في ذوائبه • ومعنى طلوعا لم ترج منه افولا ان لون الشيب كما لا يحول ولا يزول كلون الشباب فهو ملازم لانقضاء العمر • ومعنى البيت الخامس ان المشيب لا يظهر في الاغلب الاكثر الا مع امتداد العمر وطول البقاء فكيف يعاب ويذم وهو شاهد بطول البقاء وهذا تمحل وتعلل في الاعتذار للشيب لان قائلا لو قال كما شهد بطول بقاء متقدم فهو شاهد ودليل على قصر ما بقي من العمر ولان صاحبه اقرب الى الفناء من صاحب الشباب لما كان جوابه الا ان هذا القول ألطف ما تمحل واستخرج في التسلية عن الشيب والتجلد على مصاحبته

﴿ ولي من قصيدة ﴾

* عرفت الديار كسحق البرود * كأن لم تكن لانيس ديارا *
* وقالوا وقد بدات حادثات * زماني ليل شبابي نهارا *
* اتاه المشيب بذاك الوقار * فقلت لهم ما اردت الوقارا *
* فياليت دهرا اعار السواد * اذا كان يرجعه ما اعارا *
* وليت بياضا اراد الرحيل * عقيب الزيارة ما كان زارا *

انما اردت لا خير في وقار يؤيس من الحياة ويدني الى المنية ويسلب القوة ويورث الضعف وطالما استغنى الشعراء من وقار الشيب وابهته وتجاوزوا ذلك الى كراهية المخاطبة بما يقتضي علو السن وتصرم زمان الحداثة • قال مضرس بن ربعي الاسدي

* لحى الله وصل الغانيات فانما * تراهن لحما لا ينال وخلبا *
* اذا ما دعين بالكنى لا يردنا * صديقا ولم يقربن من كان اشيبا *

﴿ ومثله للاخطل ﴾

* واذا دعونك يا اخيّ فانه * ادنى اليك مودة ووصالا *

* واذا دعونك عمهن فانه * نشب يزيدك عندهن خبالا *

والبحترى ما له بهذا بعض الشبه

* يتبرجن للغرير المسمى * من تصاب دون الخليل المكنى *

ونظير ذلك كله قول ابن الرومى

* اصبحت شيخا له سمت وابهة * يدعوننى البيض عما تارة وابا *
* وتلك حالة اجلال وتكرمة * وددت انى معتاض بها لقبا *

وله ايضا

* راع المها شيبى وفيه امانها * من ان تصيد رميهن سهامى *
* وعففننى لما ادعين عمومتى * ومن النساء معفة الاعمام *

ولبعضهم وهو ضعيف اللفظ

* قالت وقد راعها مشيبى * كنت ابن عم فصرت عما *
* فقلت هذا وانت ايضا * قد كنت بنتا فصرت اما *

ولابن المعتز ما له بعض النظر بهذا المعنى يصف دليل قوم فى مفازة وانهم عند خوف للعطش يكنونه اجلالا له وطلبا لمرضاته واذا بلغوا الماء دعوه باسمه استغناء عنه وهو قوله

* ثم استنارهم دليل فارط * يسمو لبغيته بعينى اجدل *
* يدعى بكنيته لاول ظمئها * يوما ويدعى باسمه فى المنهل *

ولى من قصيدة اولها * تلك الديار برامتين همود

* وغرائر انكرن شيب ذوائبى * والبيض منى عندهن السود *
* انكرن داء ليس فيه حيلة * وذممن مفضى ليس عنه محيد *
* يهوى الشباب وان تقادم عهده * ويمل هذا الشيب وهو جديد *
* لا يبعدن عهد الشباب ومن جوى * ادعو له بالقرب وهو بعيد *
* ايام ارمى بالحاظ وارتمى * واصاد فى شرك الهوى واصيد *

معنى * والبيض منى عندهن السود * ان الذى ابيض من شعرى مسود فى فؤادى

والبيت

والبيت الثالث قوى اللفظ والعبارة لان من شأن من تتطاول صحبته ان يملّ والشباب تستمر محبته مع استمرار صحبته ومن شان الجديد ان لا يكون مملولا والشيب يملّ جديدا فقد انتقضت العادة المألوفة فى غير الشباب والشيب بهما وفيهما

﴿ ولى من قصيدة اولها * لو كنت فى مثل حالى لم ترد عذلى ﴾

* صدت اسماء والحراس قد هجعوا * والصد ان لم يكن خوفا فعن ملل *
* ورابها من بياض الشيب منظرة * كانت اذى وقذى فى الاعين النجل *
* يا ضرة الشمس الا انهـا فضلت * بان شمس الضحى زالت ولم تزل *
* قومى انظرى ثم اومى فيه او فذرى * الى عذار بضوء الشيب مشتعل *
* حنيتـه وجعلت الذنب ظالمة * لما تصرم من ايامى الاول *
* تقول لى ودموع العين واكفة * خريدة كرهت فقد الشبيبة لى *
* برد الشبـاب ببرد الشيب تجعله * مستبدلا بئسما عوضت من بدل *
* شمر ثيابك من لهو ومن اشر * وعدّ دارك عن وجد وعن غزل *

لما قلت يا ضرة الشمس وكان فى هذا تشبيه لها بالشمس ونظير لها بها لم ارض بذلك حتى فضلتها على الشمس بان الشمس تزول وتحول وهـذه لا تزول واما البيت الخامس فقد مضت له نظائر فى شعرى وسيمضى مثلها وقد استوفى هـذا البيت المعنى ولم يترك منه بقيـة تستدرك فى غيره والخريدة من النساء الخفرة المصونة وجمعها خرائد يقولون خرد من الشمس اذا استتر عنها والخريدة ايضا اللؤلؤة التى لم تثقب والمعنى فى كل ذلك يتقارب

﴿ ولى من قصيدة اولها * أعلى العهد منزل بالجناب ﴾

* ان نعما وكان قلبى فى ما * ألفته موكلا بالتصابى *
* سألتنى عن الهوى فى ليـال * ضاع فيهن من يدىّ شبابى *
* فتى ما اجبتهـا بسوى ذكر مشيبى فذاك غير جوابى *
* صار منى مثل الثغـامة ما كان زمانا محلولكا كالغراب *

* ليس يبقى شئ على شأنه الاول فى كر هذه الاحقاب *
* من عذيرى من المشيب وقد صار بعيد الشباب من اثوابى *

معنى قولى خفى ما اجبتها البيت اننى ان اجبتها وقد سألتنى عما عهدته منى من الهوى والتصابى بان المشيب فى ذهاب ذلك عنى ونفاده منى غير معيب فما اجبت بالجواب الصحيح الصادق وهذا تحقيق كما تراه لان الشيب اثر فى هواه الذى كان معهودا منه فاما الثغام فهو نور شديد البياض تشبه العرب به الشيب واما البيت الاخير فمعناه انه لا دواء لوصب المشيب ولا شفاء منه لانه لا دواء الا ما يذوقه الساقى فاذا لم يكن فيه شفاء ولا دواء للشيب فلا دواء له ولا علاج

﴿ ولى من قصيدة اولها * هل هاج شوقك صوت الطائر الغرد ﴾

* من عاذرى فى الغوانى غب منتشر * من المشيب كنوار الضحى بدد *
* وافى ولم يسغ منى ان اهيب به * وحل منى كرها حيث لم ارد *
* ولو جنته يد ما كنت طائعها * لكن جناه على فودى غير يد *

لم ارض بان جعلته نورا حتى اضفته الى الضحى ليكون اظهر له واشهر وللبيت الثانى حظ من البلاغة ولا اعرف له على جهته نظيرا فكأننى قلت انه لو جناه علىّ اعنى الشيب غير الله تعالى الذى لا يغالب ولا يمانع لما اطعته ولا انقدت له وهذه غاية التعزز والافتخار فان قيل كيف سمى ما يفعله الله تعالى بانه جناية وهذه اللفظة لا تستعمل فى المتعارف الا فى ما كان قبيحا قلنا سميناه بهذا الاسم استعارة وتجوزا ليطابق ويجانس قولى * ولو جنته يد ما كنت طائعها * وله نظائر كثيرة فى القرآن والشعر قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم

﴿ ولى فى التسلية عن الشيب والاعتذار بحلوله وهى قطعة مفردة ﴾

* اماوى ان كان الشباب الذى انقضت * لياليه عنى شاب منك صفاء *
* فما الذنب لى فى فاحم حال لونه * بياضا وقد حال الظلام ضياء *
* وما ان عهدنا زائلا حان فقده * وان كان موقوفا ازال اخاء *
* ولو كان فى ما يحدث الدهر حيلة * ابيت على هذا المشيب اباء *

* فلا تنكرى لونا تبدلت غيره * كمستبدل بعد الرداء رداء *
* فانى على العهد الذى تعهدينه * حفاظا لما استحفظتنى ووفاء *
* مشيب كفتق الليل فى مدلهمة * اتاك يقينا او ازال مراء *
* كأن الليالى عنه لما رمينى * جلون صداء او كشفن غطاء *
* فلا تجعلى ما كان منك من الاذى * عقابا لما لم آته وجزاء *
* وعدى بياض الراس بعد سواده * صباحا اتى لم اجنه ومساء *
* ولا تطلبى شيئا يكون طلابه * وقد ضل عنه رائدوه عناء *
* فانك ان ناديت غب تلهف * شبابا وقد ولى اضعت نداء *

قد تضمنت هذه الابيات من الاعتذار بحلول الشيب والتسلية عنه والتعزيه لمن حل به من تبعته وتمثيله بكل ما لا حيلة فى حؤوله عن صبغته وتغيره عن صفته ما لا يكاد يجتمع فى مكان واحد فاما الطلاوة والحلاوة فحكم فيها العدو والحاسد فضلا عن المنصف الناقد ولا حاجة بها الى تفسير لمعانيها وايضاح لفوائدها فليس يفسر الا بما عبارتها عنه اوضح واصح ولك ايها الناقد الخبير فى البيت الذى عجزه * اتاك يقينا او ازال مراء * والبيت الذى يليه مسرح طويل فى الاستحسان ان كنت منصفا فبلسانك وان كنت ظالما غامطا فبقلبك • ومعنى * ابيت على هذا المشيب اباء * اى كنت آبى عليه الا بالذى يمنع جانبى منه ويؤمننى ريبه وشره ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا اى عظيما مقبولا • ومعنى * كمستبدل بعد الرداء رداء * اى انه لم يغير منى جلدا ولا اوهن قوة ولا اكسبنى ضعفا وعجزا فجرى مجرى من تبدل رداء بغيره فى ان احواله فى نفسه ما تبدلت ولا تغيرت

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* عجبت لشيب فى عذارى طالعا * عليك وما شيب امرئ بعجيب *
* ورابك سود حلن بيضا وربما * يكون حؤول الامر غير مريب *
* وما ضرنى والعهد غير مبدل * تبدل شرخى ظالما بمشيبى *
* وما كنت اخشى ان تكون جناية المشيب براسى فى حساب ذنوبى *
* ولا عيب لى الا المشيب وحبذا * اذا لم يكن شيئا سواه عيوبى *

معنى ولا عيب لى الا المشيب ليس بتسليم لان المشيب عيب لكن المراد لا عيب لى عند من عابنى بالمشيب الا هو ثم صرحت باننى راض بان لا يكون لى عيب سواه لانه فى نفسه اولا ليس بعيب فكاننى قلت اننى راض بانه لا عيب لى وايضا فاذا كان لا عيب لى عند من اعتنى وعابنى ما ليس بعيب سوى المشيب فقد رضيت بذلك وان يكون غاية ما يعتنى به المعتنون انما هو الشيب من غير ثان له ولا مضموم اليه

﴿ ولى وهى قطعة مفردة محيطة باوصاف المشيب المختلفة وقلما تجتمع ﴾

﴿ هذه الاوصاف فى موضع واحد ﴾

* هل الشيب الا غصة فى الحيازم * وداء لربات الخدور النواعم *
* يحدن اذا ابصرنه عن سبيله * صدود النشاوى عن خبيث المطاعم *
* تعممته بعد الشبيبة ساخطا * فكان بياض الشيب شر عمائمى *
* وقنعت منه بالمخوف كأننى * تقنعت من طاقاته بالاراقم *
* وهيبنى منه كما هاب عائج * على الغاب هبات الليوث الضراغم *
* وهددنى فى كل يوم وليلة * سنا ومضه بالقارعات الحواطم *
* كفانى عذالى على طربة الصبى * وقام بلوم عفته من لوائمى *
* وقلص عنى باع كل لذاذة * وقصر دونى خطو كل مخالم *
* فوالله ما ادرى أصكت مفارقى * بفهر مشيب ام بفهر مراجم *
* ولما سقانيه الزمان شربته * كما اوجر المسور مر العلاقم *
* حنتنى منه الحانيات كأننى * اذا ظلت يوما قائما غير قائم *
* واصبحت تستبطا منونى وبدعى * وما صدقوها فى اختلال العزائم *
* فلا انا مدعو ليوم تفاكه * ولا انا مرجو ليوم تخاصم *
* فلا تطلبا منى لقاء محارب * فما انا الا فى ثياب مسالم *
* ولا يدفعنى عنكما غشم غاشم * فانى فى ايدى المشيب الغواشم *
* فلو كنت آسو منكما الكلم ما رأت * عيونكما عندى كلوم الكوالم *
* وانى اميم بالشيب فخليا * ولا تبغيا عندى علاج الامائم *

* مشيب كخرق الصبح عال بياضه * برود الليالى الحالكات العواتم *
* وتطلع فى ليل الشباب نجومه * طلوع الدرارى من خلال الغمائم *
* كأنى منه كلما رمت نهضة * الى اللهو مقبوض الخطى بالاداهم *
* تساندنى الايدى وقد كنت برهة * غنيا بنفسى عن دعام الدعائم *
* وقد كنت اباء على كل جاذب * فلما علانى الشيب لانت شكائمى *
* واخشع فى الخطب الحقير ضراعة * وقد كنت دفاعا صدور العظائم *
* وكانت تغير الاغبياء نضارتى * فاصبحت ندمان الغيور المعارم *
* ولما عرانى ظلمه فحملته * انست على عمد بحمل المظالم *
* فلا ينفض راس الى العز بعدما * تجلله منه مذل الجماجم *
* فيا صبغة حلتها غير راغب * ويا صبغة بدلتها غير سائم *
* ويا زائرى من غير ان استزيره * كما زير حيزوم الفتى بالهاذم *
* اقم لا ترم عنى وان لم تكن هوى * فكم ذا سخطنا فقد غير ملائم *
* فمن مبدلى من صبحه بظلامه * ومن عائضى من بيضه بالسواهم *
* ومن حامل عنى الغداة غرامه * وقد كنت نهاضا بثقل المغارم *
* فيابيض بيض الرأس هل لى عودة * الى السود من اغيار كن الفواحم *
* تنازحن بالبيض الطوالع شردا * كما شرد الاصباح احلام نائم *
* ويا فجر رأسى هل الى ليل لمتى * سبيل وكرات المواضى القدائم *
* ليالى افدى بالنفوس وارتدى * من البيض اسفافا ببيض المعاصم *
* فان كان فقدانى الشبيبة لازما * فحزنى عليها الدهر ضربة لازم *
* وان لم يكن نوحى بشاف وادمعى * فدمع الحيا كاف ونوح الحمائم *

الحيازم جمع حيزوم وهو الصدر وانما خصصت النشاوى لان النشوان نافر النفس شديد العزوف عن كل شئ واذا كان عن خبيث المطاعم فهو انفر واشد صدودا وشبهت طاقات الشيب بالاراقم لا فى اللون لكن فى الخوف منها والرهبة لها والحذار من بطشها والحواطم الكواسر جمع حاطمة وانما سمى حطيم مكة بذلك لانحطام الناس عليه والمخالم المحبوب المخاص وخلم الرجل مخلصه ومنه قول ابى نواس * فان كنت لا خلما ولا انت زوجه * وانما كان الشيب ثياب مسالم

لانه يؤذن بالضعف والنكول والقصور ومن كان كذلك طلب الموادعة والمسالمة والاميم الشجيج فى ام راسه ومثله المأموم والامة الشجة التى تبلغ ام الرأس والادهم القيود * ومعنى البيت الذى اوله * وكانت تغير الاغبياء نضارتى * اى اننى كنت لحسن شبابى اغير الغبى الذى لا فطنة عنده ولا تيقظ منه فلما شبت واخلق رونقى وغاضت نضارتى صار ينادمنى الغيور لامنه منى وثقته بانه لا طماح من النساء الى ولا تعريج منهن على ولم ارض بالغيور حتى قات المعارم من العرام والعرامة التى هى النزق وسرعة البطش * والمراد بالبيت الذى اوله * فيا صبغة جاتها غير راغب * اننى حملت صبغة الشيب غير راغب فيها ولا طالب لها وسلبت صبغة الشباب وبدلت منها من غير ملل منى لها وهذه غاية فى التألم والشكوى واى شئ اثقل من ازال ما لا يطلب ولا فيه مرغب وسلب ما هو موافق غير مملول ولا مكروه * ومعنى البيت الذى اوله * اقم لا ترم عنى وان لم تكن هوى * وان كنت غير موافق ولا محبوب مكروه الفراق مرغوب فى مطاولتك ومصاحبتك وهذا على ظاهر الامر كأنه عجيب والسبب فيه ان الشيب وان كان مكروه الحلول مشكو النزول فان فراقه لا يكون الا بالموت والفناء فطاولته على هذا محبوبة مأمولة وفراقه مكروه مذموم ولا مناقضة فى ذلك لان المكروه غير المحبوب والممدوح غير المذموم اما المكروه المذموم فهو تجدد الشيب وحدوثه وطرده الشباب وتبعيده واما المحبوب الممدوح فهو مطاولة الشيب واستمرار مصاحبته ودوام ايامه فهو وان لم يكن نزوله هوى فقامه ودوامه هوى فان قيل ما فى حدوث الشيب وتجدده من الضرر الا ما فى استمراره ومطاولته بل المطاولة اشد ضررا لان المذموم من الشيب انه يضعف القوة ويوهى المنة ويؤذن بتصرم العمر وهذا يتأكد باستمراره ومطاولته وان النساء ينفرن منه ويصددن عنه وهذا هو فى حدوثه وبقائه معا قلنا لا شك فى ان ضرر ابتداء الشيب هو قائم فى استمراره ودوامه الا انا نؤثر على ما فيه من ضرره مقامه ونهوى دوامه ونكره فراقه لما فى فراقه من الضرر الاعظم وقطع كل النافع وقد نختار بعض الامور المضرة المؤلمة دفعا لما هو اضر منها كمن يمشى على الشوك دافعا بذلك على شدة

ضرره ما هو اعظم منه من المضار وكشارب الدواء المر دافعا بذلك العلل العظيمة عن جسمه وكقاطع بعض اعضائه فاديا بذلك السراية لى نفسه

﴿ ولى من قصيدة اولها * ما زرت الا خداعا ايها السارى ﴾

* لا تنكرى زورات الشيب آونة * فى فاحم صيغ للابصار من قار *
* قد كنت اعذر نفسى قبل زورته * فالآن ضاقت على الاذات اعذارى *
* من منصف من بديدات كما ابتدأت * فى عرفج الدوّ نار ايما نار *
* لوامع لم تكن للغيث جاذبة * او انجم لم تنز للمدلج السارى *
* يغضضن عنهن ابصار الحسان كما * يغضضن عن ناخس فيها وعوارى *
* لا مرحبا ببياض لم يكن وضحا * لغرة الصبح او لمعا لنوار *

اما تشبيه ابتداء الشيب وتبدده فى الشعر بابتداء النار فى العرفج قبل انتشارها فيه فهى تضئ منه مواضع دون اخرى فمن واقع التشبيه وغريبه وانما قلنا نار استكبارا لها واستعظاما واختصارا شديدا لشكوى تلك الحال وتعديد ما فيها من المضار * فاما البيت الذى اوله * لوامع لم تكن للغيث جاذبة * فان تشبيه لمع بياض المشيب فى خلال الشباب بلمع البروق فى الغمام لما اعتمد فى البيت ووجب فى صنعة الشعر وتحقيق معناه ان ينفى على هذا الشبه بالبروق منافع البروق فيقال انها لم تكن للغيث جاذبة وكذلك لما شبه الشيب فى هذا البيت بالنجوم وجب ان ينفى عنه منافع النجوم ومرافقها فيقال انها لم تنز للمدلج السارى * والبيت الاخير الذى اوله لا مرحبا ببياض فى معنى هذا البيت الذى تكلمنا عليه لانه ذم لبياض الشيب لما لم يكن بياضا لذى منفعة كغرة الصبح ولمع النوار وهذا تصرف فى المعانى وتحكم فيها

﴿ ولى من قصيدة اولها * عتاب لدهر لا يمل عتابى ﴾

* واذ لم ارغ عند الغوانى تغزلا * فسل مشيبى بينهن شبابى *
* ولو كنت يوما بالخضاب موكلا * خضبت لمن يخفى عليه خضابى *
* فان تعطنى اولى الخضاب شبيبة * فان له اخرى بغير شباب *

* واين من الاصباح صبغة غيهب * واين من البازى لون غراب *
* واى انتفاع لى بلون شبيبة * ولون اهاب الشيب لون اهابى *
* وقد قلصت خطوى الليالى وثمرت * بروحاتها من جيئتى وذهابى *
* وكم ظفر الاقوام فى البيض كالدمى * بفوق المنى منهن لا بشباب *
* فها الشيب منى عاريا غير مكتس * ونصلا على رأسى بغير قراب *

معنى البيت الاول اننى اذا كنت لا اطلب الغزل عند الغوانى ولا الحظوة منهن فلا فرق بينى و بين مشيبى وشبابى لان الشيب انما يحزن و يكرب من سلبه مودة الغوانى وحطه عن رتبته بينهن وزوى عنه خدودهن * ومعنى البيت الثانى النهى عن الخضاب من حيث كان غير خاف لانه اذا كان لا ينبغى ان يخضب الا لمن يخفى عليه خضابه ولم يك خافيا فلا معنى لتكلف الخضاب الذى لا يخفى * ومعنى البيت الثالث متداول معروف وقد قيل

* وقالوا الخضاب شباب جديد * فقلت النصول مشيب جديد *

﴿ وقال محمود الوراق ﴾

* ان النصول اذا بدا * فكأنه شيب جديد *

وفى البيت الرابع تفضيل لون الشيب على لون الخضاب فاما البيت الذى اوله * واى انتفاع لى بلون شبيبة * فمعناه كيف ادلس بياض شعرى بتسويده ولون جلدى بتشنجه وتغضنه لا يليق بالشباب وانما يليق بالشيب فانما دلست ما هو منفضح ولبست ما هو منكشف وكان عندى انى منفرد بهذا المعنى حتى وجدت لابن الرومى

* رأيت خضاب المرء عند مشيبه * حدادا على شرخ الشبيبة يلبس *
* والا فما يغزو امرؤ بخضابه * أيطمع ان يخفى شباب مدلس *
* وكيف بان يخفى المشيب لخاضب * وكل ثلاث صبحه يتنفس *
* وهبه يوارى شيبه اين ماؤه * واين اديم للشبيبة املس *

ووجدت ابن الرومى يتصرف فى هذا المعنى ويعكسه حتى جعل من لا غضارة لجلده من ذوى السواد يظن به الكبر وان سواده خضاب لا شباب فقال

* اذا دام للمرء السواد ولم تدم * غضارته ظن السواد خضابا *

فكيف

* فكيف يظن الشيخ ان خضابه * يظن سوادا او يخال شبابا *

وفلسفة هذا الرجل فى شعره وتطلبه لطيف المعانى مع اعراض عن فصيح العبارة وغريبها وان كانت مذمومة مستبردة فى الاغلب الاكثر ربما اثارت دفينا او اخرجت علقا ثمينا * ونظير قول ابن الرومى رأيت خضاب المرء عند مشيبه حدادا قول الافوه الكوفى

* فان تسأليني ما الخضاب فانني * لبست على فقد الشباب حدادا *

ومثله لابى سهل النوبختى

* لم اخضب الشيب للغوانى * ابغى به عندها ودادا *
* لكن خضابى على شبابى * لبست من بعده حدادا *

ولابن الرومى فى ذم الخضاب

* يا ايها الرجل المسود شيبه * كيما يعد به من الشبان *
* اقصر فلو سودت كل حمامة * بيضاء ما عدت من الغربان *

وله فى هذا المعنى

* فزعت الى الخضاب فلم تجدد * به خلقا ولا احييت ميتا *
* خضبت الشيب حين بدا فهلا * حلقت العارضين اذ التحيتا *
* لترجع مردة كانت فبانت * كما تسويد شيبتك ارتجيتا *

وله مثله

* خضبت الشيب حين بدا لتدعى * فتى حدثا ضلالا ما ارتجيتا *
* ألا حاولت ان تدعى غلاما * بحلق العارضين اذ التحيتا *
* ابت آثار دهرك ان تعفى * بكفك شئت ذلك ام ابيتا *
* فدع عنك الخضاب ولا ترده * فاجدى منه قولك لو وليتا *

وهذه الابيات وان كان لمعناها بعض الصحة فألفاظها مباينة لاسلوب الشعر العربى وحظ اللفظ فى الشعر اقوى من حظ المعنى

وله ايضا مثله

* كما لو اردنا ان نحيل شبابنا * مشيبا ولم يأن المشيب تعذرا *
* كذلك تعيينا احالة شيبنا * شبابا اذا ثوب الشباب تحسرا *

* ابى الله تدبير ابن آدم نفسه * والا يكون العبد الا مدبرا *
* ولا صبغ الا صبغ من صبغ الدجى * دجوجية والصبح انور ازهرا *

فاما قولى فى البيت الاخير من الابيات الثانية * فها الشيب منى عاريا غير مكتس * فانما اردت بعد ذم الخضاب وبيان انه لا طائل فى تكلفه ان شيبى عار من الخضاب وانه على هيئته وخلقته وجعلت الخضاب تارة له كسوة واخرى قرابا لما جعلت الشيب نصلا فهو يشبه النصل لونا وصقالا

﴿ ولى من قصيدة اولها * ماذا جنته ليلة التعريف ﴾

* وتعجبت للشيب وهو جناية * لدلال غانية وصد صدوف *
* واحاطت الحسناء بى تبعاته * فكأنما تفويفه تفويفى *
* هو منزل بدلته من غيره * وهو الفتى فى المنزل المألوف *
* لا تنكريه فهو ابعد لبسة * عن قذف قاذفة وقرف قروف *

﴿ ولى من قطعة ﴾

* وتطلب منى الحب والشيب ابيض * واين الهوى ممن له الشعر ابيضا *
* فقلت لها قد كنت بالحب مولعا * ولكنه لما انقضت شرتى انقضى *

﴿ ولى وهو ابتداء قصيدة ﴾

* مجالك ان الليل ليل عذارى * مضى عائضا منه بضوء نهار *
* خلى لى عن الفجر المغلس بالدجى * وعن يقق لم ارض عنه بقار *
* وكنت حذرت الشيب حتى لبسته * وقل على المحتوم نفع حذار *
* لهيب مشيب فى الفؤاد مثاله * جوى واوار من جوى واوار *
* عشية امحى من عداد اولى الهوى * ولا تألف الحسناء عقوة دارى *
* وشق مزارى بعد ان كنت برهة * اذا زر ربعى لا يشق مزارى *
* تحب وتهوى كل يوم فكاهتى * ويبتاع بالدر النفيس جوارى *
* وليس هوى الا على معاجه * وفى قبضتى البيض الدمى واسارى *
* فها انا ملقى كالقذاة تناط بى * جرائر لم يجعلن تحت خيارى *

* اقيل عثارا كل يوم وليلة * بطرق الهوى من لا يقيل عثارى *

اما قولى * لهيب مشيب فى الفؤاد مثاله * فمعناه ان الشيب المنتشر فى الشعر المشبه لضوئه بلهب النهار فى القلب مثال له لتلهب الحزن والغم واشتعالهما فى القلب من اجل نزول الشيب وحلوله والجوى هاهنا هو الحزن الباطن والاوار لهيب النار فكأن هذا الذى فى القلب من الجوى والاوار متولد من اوار الشيب وتلهبه فى الشعر فان قيل أليس اهل اللغة يقولون ان الجوى هو الهوى الباطن فكيف جعلتموه حزنا وهما قلنا لا يسمون الهوى الباطن جوى اذا صحبه لدع وجوى وهمّ وذلك معروف فان قيل فهبوا ان الامر على ما قلتموه فى ما يكون فى القلب كيف جعلتم الشيب جوى وجمعتم بينه وبين الاوار وهو يشبه اوار النار بلونه ولا نسبة بينه وبين الجوى قلنا اذا كان سبب جوى القلب الذى هو الحزن به والغم على حلوله جاز ان يسمى باسمه فقد سموا السبب باسم مسببه والمسبب باسم سببه وتخطوا ذلك الى ما هو ابعد منه كثيرا والاستعارات واسعة فسيحة وفى قولى الفجر المغلس معنى لطيف لاننى اشرت الى ان الشيب عجل عن وقته المعهود له فلهذا شبهته بالفجر الطالع فى الغلس قبل اوان طلوعه المألوف

﴿ ولى من قصيدة اولها * لمن ضرم اعلى البقاع تعلقا ﴾

* وعيرنى شيبا سيكسين مثله * ومن ضل عن ايدى الردى شاب مفرقا *
* وهل تارك للمرء يوما شبابه * صباح وامساء ومنأى وملتقى *

﴿ ولى من قصيدة اولها * ما قربوا الا لبين نوقا ﴾

* ذهب الشباب وكم مضى من فائت * لا يستطيع له الغداة لحوقا *
* ما كان الا العيش قضى فانقضى * بالرغم او ماء الحياة اريقا *
* فلو اننى خيرت يوما خلة * ما كنت الا للشباب صديقا *
* ولقد ذكرت على تقادم عهده * عيشا لنا بالانعمين انيقا *
* ازمان كان بها ردائى ساحبا * اشرا وغصنى بالشباب وريقا *
* واذا تراءى فى عيون ظبائهم * كنت الفتى المرموق والموموقا *

ولى من قصيدة اولها * سلاعن المنازل لم بلينا

* فيا شعرات رأس كن سودا * وحلن بما جناه الدهر جونا *
* مشيبك بالسنين ومن هموم * وليتك قد تركت مع السنينا *
* كرهت الاربعين وقد تدانت * فمن ذا لى برد الاربعينا *
* ولاح بمفرقى قبس منير * يدل على مقاتلى المنونا *

الجون من الالفاظ المشتركة بين الابيض والاسود واردت بالجون ههنا البيض فى مقابلة السود * ومعنى * وليتك قد تركت مع السنينا * اى ليت الهموم والاحزان والاسباب المشيبة للشعر لم تطرقك وتركت مع مر السنين وتأثيرها فيك فكأننى تمنيت الاربعين السنين على شيب رأسى معين وانما يكره الاربعين من لم يبلغها لانها اقرب الى الموت وادنى الى الهرم من السن الذى تقدمها فاذا جاوزها واربى عليها تمناها لانها اقرب من الشباب وابعد من الهرم والموت من السن التى هو فيها * وقد ذكرت فى ما مضى نظير البيت الذى اوله * ولاح بمفرق قبس منير *

ولى من قصيدة اولها * ان على رمل العقيق خيما

* عجبت يا ظمياء من شيب غدا * منتشرا فى مفرق مبتسما *
* لو كان لى حكم يطاع امره * حيث منه لمتى واللمما *
* تهوين عن بيض برأسى سوده * وعن صباح فى العذار الظلما *
* وقلت ظلما كالثغام لونه * ولون ما تبغين يحكى الفحما *
* صبغ الدجى ابعد عن فاحشة * ولم يزل صبغ الدجى متهما *
* من عاش لم تجن عليه نوب * شابت نواحى رأسه او هرما *

ان قيل كيف تكون ظالمة بتشبيه الشيب بالثغام وهو اشبه شئ به قلنا لم تظلم لاجل التشبيه الذى هو صحيح واقع ولكن لانها ذمت بذلك الشيب وهجنته وازرت عليه ولهذا عورضت بان لون ما تهواه من الشباب يشبه الفحم الذى الثغام على كل حال افضل منه * فاما البيت الذى اوله * صبغ الدجى ابعد عن

فاحشة * فعزيز المعنى لان النهار نفسه وما يشبه بالنهار من الشيب ابعد من الفواحش والقبائح اما النهار فانه يظهرها ولا يسترها والشيب يعظ ويزجر عن ركوبها وصاحبه فى الاكثر عند الناس منزه عنها وصبغ الدجى الذى هو الليل نفسه وما يشبه به من الشباب ادنى الى القبائح لان الليل يستر القبيح ويخفيه والشباب يدعو الى اقتراف القبيح ويعلق على صاحبه منه ما لا يعلق على ذى الشيبة * ونظير * صبغ الدجى ابعد عن فاحشة * قولى

* لا تنكريه فهو ابعد لبسة * عن قذف قاذفة وقرف قروف *

ونظير قولى * ولم يزل صبغ الدجى متهما * قولى

* ومعيرى شيب العذار وما درى * ان الشباب مطية للفاسق *

﴿ ولى من قصيدة اولها * ليس للقلب فى السلو نصيب ﴾

* ولقد قلت للمليحة والرأس بصبغ المشيب ظلما خضيب *
* لا تريه مجانبا للتصابى * ليس بدعا صبابة ومشيب *

﴿ ولى من قصيدة اولها * بلغنا ليلة السهب ﴾

* ولما رأت الحسناء فى رأسى كالشهب *
* وبيضا كالظبى البيض * وما يصلحن للضرب *
* وحادت عن مقر كان فيه بقر السرب *
* تجنبت بلا جرم * وعوقبت بلا ذنب *
* وعاتبت ولكن قلما ينفعنى عتبى *

انما قلت وما يصلحن للضرب لئلا يفهم من تشبيهى للطاقات البيض من الشيب بالظبى البيض التماثل من كل جهة فاستثنيت انهن لا يصلحن للضرب كما تصلح السيوف لذلك واذا كان المقصد ذم الشيب ثم شبه من بعض الوجوه بما له فضل فى نفسه فمن الواجب ان يستثنى ما لا يشبه فيه من الفضيلة ليخلص القول للذم وهذا اذا تؤمل كان له موقع لطيف من البلاغة ولعمرى ان الشعر موضوع على الاختصار والحذف والاشارة ولو قلت وبيضا كالظبى البيض

لما فهم الا التشبيه فى اللون دون غيره لكنه اذا امكن التحقيق واستيفاء الاغراض من غير ان يلحق الكلام هجنة فهو اولى

﴿ ولى من قطعة ﴾

* ليس المشيب بذنب * فلا تعديه ذنبا *
* غصبت شرخ شبابى * بالليل والصبح غصبا *
* وشب شيب عذارى * كما اشتهى الدهر شبا *
* ان كنت بدلت لونا * فما تبدلت حبا *
* او كنت بوعدت جسما * فما تباعدت قلبا *
* وكلما شاب رأسى * نما غرامى وشبا *

﴿ ولى من قصيدة اولها * كنت من اسماء ما كان علن ﴾

* راعك يا اسماء منى بارق * اضاء ما بين العذار والذقن *
* لا تنفرى منه ولا تستنكرى * فهو صباح طالما كان دجن *
* ثاو نأى اذ رحل الدهر به * واىّ ثاو فى الليالى ما ظعن *
* ان كان احيا الحلم فينا والحجى * فانه غال المراح والارن *
* كم كعّ مملوء الاهاب من صبى * عن العلى واحتلها الهم اليفن *

لست ارى تهجين هذه الابيات بوصف ربما قصر عن مدى حقها فكم مرسوم بالعدول عن حقه وممدوح بالاعراض عن مدحه فاما كع فمعناه عجز يقولون كع عن كذا اذا نكل عنه وعجز والاهاب الجلد واليفن الشيخ الهرم الضعيف

﴿ ولى من قطعة مفردة ﴾

* صدت اسماء عن شيبى فقلت لها * لا تنفرى فبياض الشيب معهود *
* عمر الشباب قصير لا بقاء له * والعمر فى الشيب يا اسماء ممدود *
* قالت طردت عن اللذات قاطبة * فقلت انى عن الفحشاء مطرود *
* ما صدنى شيب رأسى عن تقى وعلى * لكننى عن قذى الاخلاق مصدود *

* لولا بياض الضحى ما نيل مفتقد * ولم ينل مطلب يبغى ومقصود *
* ما عادل الصبح ليل لا ضياء به * ولا استوت فى الليالى البيض والسود *

المعهود المألوف لا ينفر منه والشيب معتاد فى من كبر واسن وانما ينفر مما خالف العادة والبيت الثانى نظير قول الشاعر

* والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس *

لان العمر فى البياض اطول منه فى السواد وعلى البيت الثالث سؤال كيف يكون الشيب طاردا عن الفحشاء خاصة ومن شأنه ان يصد عن كل لذة ومتعة حسنة كانت او قبيحة والجواب اننى اردت انه يصدنى عن الفحشاء بوعظه وزجره لا باعجازه ومنعه وانى قادر متمكن من مباح اللذات والبيت الرابع يقوى هذا المعنى والبيت الخامس والسادس من حسن ما فضل به البياض الذى هو لون المشيب على السواد

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* نبت عينا امامة عن مشيبى * وعدت شيب رأسى من ذنوبى *
* وقالت لو سترت الشيب عنى * فكم اخفى التستر من عيوبى *
* فقلت لها اجل صريح ودى * واخلاصى عن الشعر الخضيب *
* ومالك يا امام مع الليالى * اذا طاولن بد من مشيب *
* وما تدليس شيب الراس الا * كتدليس الوداد على الحبيب *
* فلا تلحى عليه فذاك داء * عياء ضل عن حيل الطبيب *
* وان بعيد شيبك وهو آت * نظير بياض مفرقى القريب *
* وان تأبى فقومى ميزى لى * نصيبك فيه يوما من نصيبى *

معنى البيت الثانى اننى خالص المودة صريح المحبة فلا ادنس ذلك بتزوير الشعر بالخضاب وتشبيهه بالشباب وقد افصحت عن هذا البيت الذى اوله وما تدليس شيب الراس وابن الرومى جعل من خضب للغوانى معاقبا بغشهن فى وده فقال

* قل للمسود حين شيب هكذا * غش الغوانى فى الهوى اياكا *
* كذب الغوانى فى سواد عذاره * وكذبنه فى ودهن كذاكا *

ومعنى البيت الذى اوله * وان بعيد شيبك وهو آت * انا سواء فى الشيب وانما هو واقع بى ومتوقع فيك وكل آت قريب والبيت الثالث معناه انك ان اثبت انا فى اشكال وامثال فعرفينى الفرق بينى وبينك فيه واى امان لك مما نزل بى وحل عندى وهذا من لطيف التسلية عن الشيب والاحتيال فى دفع احزانه وهمومه والاحتجاج على من عابه من النساء وذمه وقبحه

﴿ ولى من قطعة مفردة ﴾

* أمن شعر فى الرأس بدّل لونه * تبدلت ودا يا اسماء عن ودى *
* فان يك هذا الهجر منك او القلى * فليس بياض الرأس يا اسم من عندى *
* تصدين عمدا والهوى انت كله * وما كان شيبى لو تاملت من عمدى *
* وليس لمن جازته ستون حجة * من الشيب ان لم يرده الموت من بد *
* ولا لوم يوما من تغير صبغة * اذا لم يكن ذاك التغير فى عهدى *

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* يقولون لى لم انت للشيب كاره * فقلت طريق الموت عند مشيبى *
* قربت الردى لما تجلل مفرقى * وكنت بعيدا منه غير قريب *
* وكنت رطيب الغصن قبل حلوله * وغصنى مذ شيت غير رطيب *
* ولم يك الاعن مشيب ذوائبى * جفاء خليلى وازورار حبيبى *
* وماكنت ذا عيب فقد صرت بعده * تخط بايدى الغانيات عيوبى *
* فليس بكائى للشباب وانما * بكائى على عمرى مضى ونحيبى *

البيت الذى اوله وما كنت ذا عيب يحتمل ان يكون المراد به اننى بعد المشيب بلا عيب على الحقيقة كما كنت غير ان الغانيات يتجرمن علىّ بعد الشيب فيضفن الىّ عيوبا ليست فىّ ويحتمل ان يراد ايضا ان عيوبى كانت مستورة مغفورة فى ظل الشباب فلما قلص عنى وانحسر اظهرت واعلنت لان الشافع فىّ زال والعاذر لى حال ويمضى هذا المعنى كثيرا

ولى وهى قطعة مفردة فى ذم الشيب

* بياضك يا لون المشيب سواد * وسقمك سقم لا يكاد يعاد *
* وقد صرت مكروها على الشيب بعدما * عمرت وما عند المشيب اراد *
* فلى من قلوب الغانيات ملالة * ولى من صلاح الغانيات فساد *
* وما لى نصيب بينهن وليس لى * اذا هن زودن الاحبة زاد *
* وما الشيب الا توأم الموت للفتى * وعيش امرئ بعد المشيب جهاد *

ولى فى الاعتذار عن الشيب والتسلية عنه وهى قطعة مفردة

* تقول لى انما الستون مقطعة * بين الرجال ووصل الخرد الغيد *
* وما استوى يفن ولت نضارته * فى الغانيات بغصن ناضر العود *
* فقلت ما الشيب الا لبسة لبست * ما اثرت لى فى بخل ولا جود *
* ولا وفاء ولا غدر ولا كلف * ولا ملال ولا انجاز موعود *
* ان الخفاظ وبيضى فيه لامعة * خير من الغدر لو جربت فى سودى *

واذا كنا قد استوفينا غرضنا الذى قصدناه فالواجب قطع الكتاب ههنا فقد طال وربما امل الطويل ولعل معنتا يطعن فى ما اوردناه فى اثناء كلامنا من نظائر الشعر بانا ما استوفيناه ولا استقصيناه ويذكر نظائر لم نذكرها او يعيب بعدولنا عما عدلنا حمله عن ذكر نظائره والجواب عن ذلك ان كتابنا هذا ما وضعناه لذكر النظائر وانما كان الغرض فيه ما تضمنته خطبة الكتاب وقد استوفى وما مضى من ذكر نظائر فانه اتفق عرضا ولو قصدنا هذا الفن لاستوفيناه بحسب ما يحضرنا وينتهى اليه علمنا فان نظائر الشعر لا تحصى كثرة ومن تعاطى ذكرها واعتمده فما عليه الا الاجتهاد وايراد ما يناله حفظه او يده وتصفحه والله تعالى المأمول المرجو للسداد والرشاد هاديا الى سننهما ودالا على محجتهما

وهو حسبنا الله ونعم الوكيل وصلواته
على محمد وآله الطاهرين
والحمد لله وحده

(وجد باصله ما نصه)

الزيادة فى كتاب الشيب والشباب

قد كنا اشرنا الى انه متى اتفق فى جملة ما ننظمه بعد عمل هذا الكتاب شئ يتضمن وصف الشيب ضممناه اليه وألحقناه به ونحن لذلك فاعلون.

ولى قصيدة اولها * توقّ ديار الحى فهى المقاتل

* واين الهوى منى وقد شحط الصبى * وفارق فودىّ الشباب المزايل *
* وقد قلصت عنى ذيول شبيبتى * وفى الراس شيب كالثغامة شامل *
* ولى من دموعى غدوة وعشية * لبين الشباب الغض طل ووابل *
* وكيف يزيل الشيب او يرجع الصبى * وجيب قلوب او دموع هوامل *

ولى وهى قطعة مفردة وفيها ذم الشيب

* قد كان لى غلس لا فجر يمزجه * فالآن فجرى بلا شئ من الغلس *
* قالوا تسلى فشيات الصبى قبس * فقلت ذاك ولكن شر ما قبس *
* وزارنى لم ارد منه زيارته * شيب ولم يغن اعوانى ولا حرسى *
* يضئ بعد سواد فى مطالعه * لفاغر من ردى الايام مفترس *
* طوى قناتى واغتالت اظافره * نحضى وردّ الى تقويمه شوسى *
* وصد عنى قلوب البيض نافرة * وساقنى اليوم من نطق الى خرس *
* ان كان شيبى بقاء قبله دنس * فقد رضيت بذاك الملبس الدنس *
* وغالطونى وقالوا الشيب مطهرة * وما السواد به شئ من النجس *
* والعمر فى الشيب ممتد كما زعموا * لكنه لم يدع شيئا سوى النفس *

معنى البيت الاول انه كان مشبه بالغلس وهو الشباب لا يمزجه شئ من المشبه بالفجر وهو الشيب فانعكس ذلك وصار بياضى بغير سواد ومعنى البيت الثانى انهم اذا اسلوا عن المشيب وعزوا عن مضرته بانه يشبه بالقبس الذى المنفعة به ظاهرة فن احسن جواب عن هذه التسلية ان يصدقوا فى شبهه به هيئة وصبغة

ومخالفته له فى الفائدة والعائدة فرب شئ يشبه غيره ظاهرا ويخالفه باطنا والقبس ايضا الذى شبه الشيب به قد يستضر به فى حال كما ينتفع به فى اخرى وقولى ولكن شرما قبس كاف فى الجواب وانما قلت ذاك ولم اقل ذاكم والخطاب لجماعة استقلالا للفظة الجمع فى هذا الموضع واستخفاف خطاب الواحد وقد يجوز ان يقل المخاطب بالجواب على بعض من خاطبه دون بعض اما لتقدمه ووجاهته او لفضل علمه وفرط فطنته وفى الكلام الفصيح لهذا نظائر كثيرة يطول ذكرها فان استحسن او استخف راو ان يقول ذاكم مكان ذاك فليروه كذلك فلا فرق بين الامرين * واما البيت الثالث فمعناه ان الاعوان والحراس من شأنهم ان يدفعوا زيارة من تكره زيارته وتجتوى مقاربته والشيب من بين الزائرين الوافدين لا يغنى فى دفعه ومنعه اعوان ولا حراس * ومعنى البيت الرابع نظير قولى وقد تقدم

* ولاح بمفرقى قبس منير * يدل على مقاتلى المنونا *

وقول اخى رضى الله عنه وقد تقدم ايضا

* تعشو الى ضوء المشيب فتهتدى * وتضل فى ليل الشباب الغابر *

وقول ابن الرومى * فلما اضاء الشيب شخصى رمانيا * ومعنى قولى فى البيت الخامس طوى قناتى انه حنى قامتى فان الكبر يفعل ذلك والمحض اللحم ولا شبهة فى ان الكبر يعترق اللحم من الجسد فاما الشوس فهو رفع الرأس تكبرا وتجبرا يقال رجل اشوس ورجال شوس فاردت ان الشيب يمنع من التكبر ويقعد عن التجبر ويورث الخشوع والاستكانة والخضوع * وقولى فى البيت السادس * وساقنى اليوم من نطق الى خرس * يجوز ان يكون المراد به اننى اكلّ عن الحجة واعجز عن استيفاء الخطاب لضعف الكبر وعجز الهرم فكأننى خرست بعد نطق ويجوز ان يراد به ايضا اننى امسك عن الكلام واسكت عن الجواب مع قدرة عليهما باسترذال كلامى واستضعاف خطابى فان الكبر لا يؤتمر له ولا يصغى اليه * والبيت السابع مكشوف المعنى وكذلك الثامن فاما البيت الاخير فان غاية ما يمدح به الشيب ويفضل له ان يقال ان العمر فيه ممتد يزيد على العمر فى الشباب فكأننى سلمت هذا الذى تدعى به الفضيلة والمزية وقلت

اذا كان المشيب لم يدع شيئا سوى النفس الدال على وجود الحياة مجردة من كل انتفاع والتذاذ وبلوغ ارب ووطر فاى فائدة فى طول عمر بلا منفعة ولا لذة ولا متعة وانما يراد تطاول العمر لزيادة الانتفاع وطول الاستمتاع

﴿ ولى فى مثل ذلك وهى قطعة مفردة ﴾

* لا تنظرى اليوم يا سلمى الى ّ فما * ابقى المشيب بوجهى نضرة البشر *
* جنى علىّ فقولى كيف اصنع فى * جان اذا كان يجنى غير معتذر *
* عرا فاعرى من الاقطار قاطبة * قهرا وألبسنى ما ليس من وطرى *
* وقد حذرت ولكن رب مقترب * لم انج منه وان حاذرت بالحذر *
* فان شكوت الى قوم مساكنهم * ظل السلامة ردونى الى القدر *
* كونى كما شئت فى طول وفى قصر * فليس ايام شيب الرأس من عمرى *
* فقل لمن ظل يسلى عن مصيبته * لا سلوة لى عن سمعى وعن بصرى *
* شر العقوبة يا سلمى على رجل * عقوبة من صروف الدهر فى الشعر *
* ان كان طال له عمر فشيبه * فكل طول عداه الفضل كالقصر *
* يلين منه ويرخى من معاجمه * كرها ولو كان منحوتا من الحجر *
* فان تكن وخطات الشيب فى شعرى * بيضا فكم من بياض ليس للغرر *
* ما كل اشراقة للصبح فى غلس * وليس كل ضياء من سنا القمر *

معنى قولى * وكل طول عداه الفضل كالقصر * ان طول الزمان انما يحمد ويطلب اذا جلب نفعا واثمر فائدة واذا كان بالضد من ذلك فهو كالقصير من الزمان فى عدم الانتفاع بطوله ومعنى فكم من بياض ليس للغرر اى لا تعزونى عن المشيب ببياض لونه واشراقه فليس كل بياض محمودا وان كان بياض الغرر ممدوحا ومعنى البيت الثانى هو هذا بعينه ومؤكدا للاول وموضحا عنه

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* قالت مشيبك فجر والشباب اذا * زرناك ظلمة ليل فيه مستتر *
* فقلت من كان هجرى الدهر عادته * ما ان له بضياء الشيب معتذر *

* لا تسخطيه بهذا الشيب مظهرة * على عيوب بضد الشيب تستتر *
* ترين منى وضوء الشيب يفضحنى * ما زاغ عنه ورأسى اسود نضر *

معنى البيت الاول كأنه غريب والجواب من اعتذار المتمحل للهجر صحيح لان من كان لا يلم بزيارة ولا يهم بلقاء سـواء عليه ضياء اظهره او سواد ستره والبيتان الاخيران بليغان فى المعنى المقصود بهما وتقريب الشيب من قلوب من يطلب العيوب ويؤثر الظهور على الغيوب بانه يظهر مكتومها ويبرز مستورها من ألطف المكايد واغمضها

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* نضوت ثياب اللهو عنى فقلصت * وشيبنى قبل المشيب هموم *
* وقد كنت فى ظل الشباب بنعمة * واى نعـيم للرجال يدوم *
* وقد علم الاقوام ان لم يغالطوا * بان صحيحا فى المشيب سقيم *
* وان غنيا فى الهـوى ونزيله المشيب فقير الراحتين عديم *

معنى قولى * وشيبنى قبل المشيب هموم * قبل اوان المشيب وابانه والوقت الذى جرت العادة بنزوله فيه ولا يجوز حمل الكلام الا على ذلك فى حكم الضرورة لان ما شيب من الهموم فالمشيب لا محالة معه فكيف يكون قبله لولا الحذف الذى اشرنا اليه

﴿ ولى قطعة وهى مفردة ﴾

* صدّ عنى واعرضا * اذ رأى الرأس ابيضا *
* ونضا عنى الغضاضة واللهو ما نضا *
* واسترد الزمان منى ما كان اقرضا *
* ورمانى بشيب رأسى ظلما واغرضا *
* واستحال الطبيب لى * من سقامى فامرضا *
* ومحب عهدته * صار بالشيب مبغضا *
* كان يرضى ولم يدع * شيب رأسى له رضى *

* قال لى مفصحا وما * كان الا معرضا *
* اين شرخ الشباب قلت خباء تقوضا *
* او منام وافى الصباح الينا وقد مضى *

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* صد عنى كارها قربى وقد كان حبيبا *
* ورأى فى الفاحم الجعد من الرأس مشيبا *
* كشهاب غابت الشهب ويأبى ان يغيبا *
* اوكنار تخمد النار ويزداد لهيبا *
* كنت عريانا بلا عيب فاهدى لى العيوبا *
* قلت ما اذنبت بالشيب اليكم فاتوبا *
* هو داء حل جسمى * لم اجد منه طبيبا *
* لم تجد ذنبا ولكنك لفقت ذنوبا *

يحتمل البيت الخامس الذى اوله كنت عريانا بلا عيب وجوها من التأويل ﴿ اولها ﴾ ان يراد انى كنت بلا عيب فصار لى من الشيب نفسه عيب لان النساء يعبن به وينفرن منه ﴿ وثانيها ﴾ ان يكون المراد ان الشباب كان ساترا لعيوب كانت فىّ مغفورة لى لاجله فلما نزل الشيب اذيعت فىّ وبقيت علىّ ﴿ وثالثها ﴾ انه لم يكن فىّ عيب فلما نزل الشيب تمحلت لى عيوب وعلقت علىّ ونسبت الىّ فان ذا الشيب ابدا معيب بين النساء متجرم عليه

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* لا تطلبى منى الشباب فما * عندى شباب والشيب قد وفدا *
* اين شبابى وقد انفت على الستين سنا وجزتها عددا *
* فمن بغى عندى البشاشة واللهو وبعض النشاط ما وجدا *
* وقد مضى من يدى وفارقنى * ما لا اراه براجع ابدا *

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* صدت وماكان الذى صدها * الا طلوع الشعر الاشهب *
* زار وكم من زائر للفتى * حل بواديه ولم يطلب *
* ركبته كرها ومن ذا الذى * اركبه الدهر فلم يركب *
* كأنه نار لباغى القرى * اضرمها القوم على مرقب *
* او كوكب لاح على افقه * او بارق يلمع فى غيهب *
* لحمى وقد اصبحت جارا له * زادى ودمعى وحده مشربى *
* واننى فيه ومن اجله * معاقب القلب ولم اذنب *
* وليس لى حظ وان كنت من * اهل الهوى فى قنص الربرب *
* وما رأينا قبله زائرا * جاء الينا ثم لم يذهب *

معنى البيت الذى اوله * لحمى وقد اصبحت جارا له * ان صاحب الشيب اذا كان على الاكثر ينقص لحمه ويهزل جسمه ويعترق الشيب اعضاءه فكان ذا الشيب يتزود لحمه فهو يفنى على الايام ويحتمل وجها آخر وهو ان لذى الشيب حسرة على شبابه وحزنا على حلول مشيبه فيعض كفه وانامله كما يفعل المغيظ المهموم وجعل ذلك الغيظ تزودا واقتياتا على سبيل المجاز والبيت الاخير معناه ان من شأن كل زائر لغيره ان يجوز انصرافه عنه ومفارقته له وذلك المزور حى باق الا الشيب فانه اذا زار لم يذهب الا بذهاب الحياة وفقدها

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* لاتسألنى عن المشيب فخذ * جلل رأسى كرها جفانى الغرام *
* ليس للهو والصبابة واللذات فى اربع المشيب مقام *
* ما جنى الشيب فى المفارق الا * عنت الغانيات والايام *
* هو نقص عند الحسان كما ان شبابا مكان شيب تمام *
* وسقام وما استوت لك فى نيل امانيك صحة وسقام *
* ومتى رمت عرجة عنه قالت * لى التجاريب رمت ما لا يرام *

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* تقول لى وما فيها مطفحة * من ذا ابان على صبغ الدجى قبسا *
* من ذا الذى غل من فوديك لونهما * وسل حسنك فى ما سل او خلسا *
* ما لى اراك ونور البدر منكسف * فى وجنتيك وخط فيهما طمسا *
* كأنما انت ربع طل ساكنه * ومنزل عطل من اهله درسا *
* ما ضر شيئا وقد وافى بمنظرة * تقذى النواظر لو ابطا او احتبسا *
* أما علمت بانا معشر جزع * نقلى الصباح ونهوى دونه الغلسا *
* فقلت ما كنت من شئ يصيب به * ربى وان ساء منى القلب محترسا *
* وما الشيبة الا لبسة نزعت * بدلت منها فلا تستنكرى اللبسا *
* وفىّ كل الذى تهوين من جلد * فما ابالى أقام الشيب ام جلسا *
* لا تطلبى اللهو منى والمشيب على * رأسى فان قعود اللهو قد شمسا *
* ولا ترومى الذى عودت من ملق * وكل ما لان من قلبى الغداة قسا *

﴿ ولى من قطعة مفردة ﴾

* قلت لمسود له شعره * هل لك فى المبيض من شعرى *
* خذه وان لم ترضه صاحبا * مع الذى بقى من عمرى *
* فقال لى يا بعد ما بيننا * ونازح امرك من امرى *
* عمرت سنين ونيفها * ونيفت سنى على عشر *
* ليس لداء بك من حيلة * فاجرع ملاء اكؤس الصبر *

ان قيل كيف تسمح نفس صاحب الشيب بان يسأل فى نقله عنه مع سلب ما بقى من عمره وانما يكره الشيب لانه نذير الموت وبشير بمفارقة الحياة فالجواب ان احد ما يكره له الشيب ما ذكرنى السؤال والاكثر الاظهر فى سبب كراهية المشيب نفور الغوانى منه وصدودهن عنه وتعيرهن به وان صاحبه فاقد اللذات ضعيف الشهوات متكدر الحياة ومن كان بهذه الصفة تمنى ان يفارقه الشيب بمفارقة الحياة ليستريح من ادوائه التى لا علاج منها ولا دواء لها

ولى

ولى وهى قطعة مفردة

* لوت وجهها عن شيب رأسى وانما * لوت عن بياض زاهر لونه غضا *
* ولو انصفت ما اعرضت عن شبيهها * ولا ابدلتـه من محبتـه بغضـا *

نفور الانسان لا يكون عما يماثله و يجانسه بل عما يضاده ويخالفه والبيض من النساء يوافق لونهن لون المشيب فكيف نفرن عنه وبعدن منه مع المشاكلة لولا انعكاس العادة فى الشيب

ولى من جملة قطعة مفردة

* ورابك منى قبل ان تنبينى * بان ليس لى امر عليه مشيب *
* وعاقبتنى ظلما وكم من معاقب * وليس له عند الحسان ذنوب *
* وليس عجيبا شيب رأسى وانما * صدودك عن ذاك المشيب عجيب *
* هبيه نهارا بعد ليل وروضة * تضاحك فيها النور وهى قطوب *
* ولا تطلبى شرخ الشباب وقد مضى * فذلك شئ ما اراه يؤوب *

اما وصف ما لم يظهر زهره ونواره من الروض بالقطوب فن واقع التشبيه وغريبه لانه اذا شبه ما ازهر منه ونور بالضاحك جاز ان يسمى ما استمر على اخضراره واسوداده بانه قاطب لفقد النور المشبه بالضحك منه

ولى وهى قطعة مفردة

* تلوم وقد لاحت طوالع شيبتى * وما كنت منها قبل ذاك مفندا *
* فحسبك من لومى والا فبعضه * فما ابيض الا بعض ما كان اسودا *
* ولا تلزمينى اليوم عيبا بصبغة * ستكسينها اما بقيت لها غدا *
* ولو خلدت لى حالة مع تولع الليالى باحوالى لكنت المخلدا *
* ولو لم اشب او تنتقصنى مدة * لكنت على الايام نسرا وفرقدا *
* وان المشيب فدية من حفيرة * ابيت بها صفرا من الناس مفردا *
* اوسد بالصفاح لا من كرامة * وانى غنى وسطها ان اوسدا *

* فلا تنفرى يا نفس يوما من الردى * فما انت الا فى طريق الى الردى *

البيت الثانى لطيف المعنى لان من لام وفند وعنف على شيب لا صنع للشائب فى نزوله وله حيلة له فى دفع حلوله يجب ان يستوقف عن لومه ان انصف فان ابى الا الظلم فلا اقل من ان يقتصر على بعض اللوام ولا ينتهى الى غايته لان الشعر الذى عنف ببياضه انما ابيض بعضه ولم يسر ذلك الى كله فسبب اللوم اذا لم ينته الى الغاية فاللوم لا يجب ان ينتهى اليها

ولى وهى قطعة مفردة

* تضاحكت لما رأيت المشيب * ولم ار فى ذاك ما يضحك *
* وما زال دفع مشيب العذار لا يستطاع ولا يملك *
* وقال لى الدهر لما بقيت اما المشيب او المهلك *
* فقولى وانت تعيبيننى * لاى طريقيهما اسلك *

اللطف ما هون به نزول الشيب واقواه شبهة انه فداء المنية وبدل من الهلكة وقد تقدم فى شعرى نظائر لذلك كثيرة من استقراها وجدها

ولى من جملة قطعة مفردة

* يا أسم ان صبابتى * بك لو اويت لها طويله *
* واخذتنى بذنوب شيب لم تكن لى فيه حيله *
* نزلت شواتى خطة * منه احاذرها نزيله *
* وقضى الشباب ولينه * لما قضى لم يقض غيله *
* كان الشباب وسيلتى * فالآن ما لى من وسيله *

ولى وهى قطعة مفردة

* تقاسم الليل والاصباح بينهما * عمرى فمن حاصد طورا ومزدرعى *
* اعطى نهارى وليلى شبه صبغهما * فنسج ايدى الدجى ثم الضحى خلعى *
* لليل سودى وللصبح المنير اذا * اجلاه شيبى فلومى فيه او فدعى *

* فنوبة الليل قد ولت كما نزلت * ونوبة الصبح من هذا المشيب معى *

هذه الابيات متضمنة لمعنى غريب لان هذا القسم والتوزيع على الليل والنهار من الشيب والشباب شبههما ونظيرهما ما وجدته الى الآن على هذا الترتيب فى شئ من الشعر المأثور

ولى وهى قطعة مفردة

* ان عاقب الشيب السواد بمفرق * فالليل يتلوه الصباح الواضح *
* من اخطأته وقد رمت قوس الردى * يبيض منه مفارق ومسائح *
* لو كان لليل البهيم فضيلة * لم تدن منه مقابس ومصابح *
* البيض للعينين وجه ضاحك * والسود للعينين وجه كالح *
* واشد من جدع الجياد اذا جرت * جريا واصبرهن نهد فارح *
* والبزل تغتال الطريق سليمة * وعلى الطريق من البكار طلائح *

قد جمعت هذه الابيات من الاعتذار للشيب والتسلية عنه من غريب بديع غير مبتذل وبين معروف معهود كأنه لحسن موقعه وعذوبة لفظه غير معروف ولا معهود والمتأمل لذلك حكم عدل فيه * فمعنى البيت الثالث هو الذى ليس بمطروق وادل دليل على ان السواد البهيم ليس بفضيلة للاستضاءة فيه بالمقابس والمصابح وهذا تعلل وتمحل وان كان من مليح ما تمحل لان الليل لا تتم الاغراض فيه الا بالمصابيح ليهتدى بها فى سواده والا فالاوطار فيه غير مبلوغة وليس هذا فى سواد الشباب وبياض الشيب ومن ذم بياض الشعر لم يذمه لانه فضل البياض على السواد على كل حال فينتقض عليه ذلك بمصابيح الليل وانما ذمه لان الاوطار التى تنال بالشباب المحمودة كلها تفقد معه فكان المذموم هو فقد سواد تدرك به الاغراض وتنال معه الاوطار دون ما ليس هذه صفته وهذا التحقيق مطرح فى الشعر ويكفى الشاعر اذا عيب ببياض شعره وفضل سواده على بياضه ان يعتذر فى ذلك بما ذكرناه فى البيت * فاما البيت الرابع فمعناه ايضا كالبديع الغريب ويشبهه ما مضى من قولى * تضاحك فيها النور وهى قطوب * فان القطوب كالكلوح

﴿ ولى من قطعة مفردة ﴾

* تصدين عنى للمشيب كأننى * صرفت شبابى او دعوت مشيبى *
* وكيف سلوى عن حبيب اذا مضى * فلا متعة لى بعده بحبيب *
* كأنى ربع بعده غير آهل * وواد جفاه القطر غير خصيب *
* فلا تندبى عندى الشباب فانما * بكائى عليه وحده ونحيبى *

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* أمن بعد ستين جاوزتها * تعجب اسماء من شيبتى *
* واعجب من ذاك لو ما كبرت * ولم ينزل الشيب فى لمتى *
* فان كنت تأبين شيب العذار * فكم خيب المرء من منبت *
* وان انت يوما تخيرت لى * فشيبى اصلح من ميتتى *
* فلا تغضبى من صنيع الزمان * فمالك شئ سوى الغضبة *

معنى قولى * فمالك شئ سوى الغضبة * ان الغضب لا يفيد شيئا ولا تحصلين فيه الا على مجرد الغضب من غير فائدة فاما قولى * فشيبى اصلح من ميتتى * فقد تقدمت نظائره

﴿ ولى وهى قطعة مفردة ﴾

* جزعت امامة من مشيب الرأس اذ سفهت امامه *
* وتنكرت بعد الصدود * وقد ألم بنا لمامه *
* واستعبرت لما رأت * فى لمتى منه ابتسامه *
* ورأت على ظلم المفارق من توضحه علامه *
* مثل الثغامة لونها * لكنها غير الثغامه *
* وتظلمت منه على * ان ليس تنفعها الظلامه *
* ولقد اقول لها وكم * من قائل امن الملامه *
* لا تنكرى بدد المشيب فانه ثمر السلامه *

من بليغ القول ومختصره وصف الشباب بانه ثمر السلامة ◆ وهذا انتهاء ما خرج وصف المشيب من نظمى الى سلخ ذى الحجة من سنة احدى وعشرين واربعمائة وان تراخى الاجل وترامى المهل واتفق فما يخرج من الشعر شئ من وصف الشيب ضممناه الى ما تقدم والله ولى التوفيق فى كل قول وعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وكان الفراغ من كتابته فى يوم الجمعة المبارك تاسع عشر شعبان سنة ١٠٠٩ (الف وتسع)

بلغ مقابلة من اوله الى آخره حسب الطاقة على يد فقير
رحمة ربه الفتاح * على بن محمد الملاح * غفر الله
ذنوبه * وستر عيوبه * بمحمد وآله
آمين

تم كتاب الشهاب * فى الشيب والشباب

ويليه سلوة الحريف * بمناظرة

الربيع والخريف * للامام الجاحظ

مطبعة الجوائب

وأنشئت سنة ١٢٧٧

كتاب

سلوة الحريف * بمناظرة الربيع والخريف

تأليف

فريد الزمان الشيخ الاجل قوام الادب ابى عثمان عمرو بن

بحر الجاحظ رحمه الله

الطبعة الاولى

طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة

طبع فى مطبعة الجوائب

قسطنطينية

١٣٠٢

ترجمة الجاحظ

هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى المعروف بالجاحظ البصرى

البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف فى كل فن له مقالة فى اصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ ابى اسحاق سيار البلخى المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع • ومن احسن تصانيفه واجمعها كتاب الحيوان وقد جمع فيه كل غريبة وكذلك البيان والتبيين وتصانيفه كثيرة جدا وكان مشوه الخلق وانما قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وكان يقال له ايضا الحدقى لذلك ايضا • قال ابو القاسم السيرافى حضرنا مجلس الاستاذ ابى الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وازرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكتّ ايها الاستاذ عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك على رد امثاله فقال لم اجد فى مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له النظر فى كتبه صار لذلك انسانا يا ابا القاسم قلت الجاحظ يعلم العقل اولا والادب ثانيا ولم استصلحه لذلك وكان الجاحظ فى اواخر عمره قد اصابه الفالج وكان يطلى نصفه الاول بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما احس به من خدره وشدة برده وكان يقول فى مرضه اصطلحت على جسدى الاضداد ان اكلت باردا اخذ برجلى وان اكلت حارا اخذ برأسى وكان يقول انا من جانبى الايسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت به ومن جانبى الايمن منقرس لو مر به الذباب لآلمه وبى حصاة لا تسرح لى البول معها وانشد

* أرجو ان تكون وانت شيخ * كما قد كنت ايام الشباب *
* وقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب *

* وحكى بعض البرامكة قال كنت قد تقلدت السند فاقمت فيها ما شاء الله *
* فاتصل بى انى صرفت عنها وكنت كسبت ثلاثين الف دينار فخشيت *
* ان يفجأنى الصارف فيسمع بالمال فيطمع فيه فصنعته عشرة آلاف *
* اهليلجة فى كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل فلم يمكث الصارف ان اتى فركبت *
* البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت ان الجاحظ بها وانه عليل بالفالج *
* فاحببت ان اراه قبل وفاته فصرت اليه فافضيت الى باب دار لطيف *
* فقرعته فخرجت الىّ جارية صفراء فقالت من انت فقلت رجل غريب *
* فاحب ان اسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الجارية فسمعته يقول ما يصنع *
* بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد من الوصول *
* اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتى فقال اراه *
* قبل موته فاقول قد رأيت الجاحظ ثم اذن لى فسلمت عليه فرد ردا *
* جميلا وقال من تكون اعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله اسلافك *
* وآباءك السمحاء الاجواد فلقد كانت ايامهم رياض الازمنة ولقد كان *
* انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له فقلت انا اسأل *
* الشيخ ان ينشدنى شيئا من الشعر فانشدنى *

* وان قدمت قبلى رجال فطالما * مشيت على رسل فكنت المقدما *
* ولكن هذا الدهر تأبى صروفه * فتبرم منقوضا وتنقض مبرما *

* ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج *
* قلت لا قال فان الاهليلج الذى معك ينفعنى فابعث لى منه فقلت نعم *
* فخرجت متعجبا من وقوعه على خبرى مع كتمانى له فبعثت له مائة *
* اهليلجة وقال ابو الحسن البرمكى انشدنى الجاحظ *

* وكان لنا اصدقاء مضوا * فغابوا جميعا وما خلدوا *
* تساقوا جميعا كؤوس المنون * فمات الصديق ومات العدو *

وكانت وفاة الجاحظ فى المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة
وقد نيف على خمس وتسعين سنة رحمه الله وبحر بفتح الباء الموحدة
وسكون الحاء المهملة وبعدها راء ومحبوب بفتح الميم وسكون الحاء
وضم الباء الموحدة وسكون الواو بعدها باء موحدة والجاحظ بفتح
الجيم وبعد الالف حاء مهملة مكسورة وبعدها ظاء معجمة والكنانى
بكسر الكاف وفتح النون وبعد الالف نون ثانية والليثى بفتح اللام
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء
مثلثة هذه النسبة الى ليث بن بكر بن
عبد مناة بن كنانة بن خزيمة

كتاب سلوة الحريف * بمناظرة الربيع والخريف

لفريد الزمان الشيخ الاجل قوام الادب ابى عثمان عمرو بن

بحر الجاحظ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مقسم القسم * وبارئ النسم * ومديم النعم * ومزيل النقم * حمدا يوازى بواطن نعمه * ويجازى ظواهر كرمه * وان كان كرمه لا يوازى * ونعمه لا تجازى * باقصى المحامد * وابعد جهد الجاهد * وصلى الله على رسوله محمد وعلى الطاهرين من اسرته * والطيبين من عترته *

خرجت يوما وانا فى خدمة قوام الملك ونظام الدين ابى يعلى احمد بن طاهر اطال الله فى المعالى لتهذيب المعانى بقاءه * وحرس فى اقتفاء المكارم عن المكاره فناءه * وحاط على الافاضل بانداد الفواضل نعماءه * وعطف على العلماء بحفظ ايامه وزمانه * وجمل الدنيا بعزة تمكينه فيها ورفعة مكانه * متنزها ومتفرجا من الحفلة بالوحدة متسليا * ومتشفيا ببرد النسيم عن حرقة كنت بها متصليا * مترنما بلواعجى اطفئ لظى صدرى لها بندى دموع سجم * على انى احب المكان القفر من اجل اننى به اتغنى باسمها غير مجمجم * فاطلعت بى عينى لتخلص مما بها على عين تموج بماء سلسال زلال كانها انكدرت من سلاسل فى زلازل واذا قريب منه روضة دعتنى واشرأبت بى على عين اخرى وهى تنفجر من محاجر الاحجار هذا الانفجار كأنها سيف الصبح سل من غمد الظلام يتهدد الشهب

بورود النهار * او كأنها النضناض ينساب على الرضراض فى الانهار * فقعدت عليه وحدى بل بوجدى خاليا * وبالنظر فيه ساليا * اتأمل منه مكانا خاليا * واتنفس نفسا عاليا * وامنى نفسى بلعل وعسى * لانه اذا امتلأت نفس الكريم تنفسا * فلحقتنى رفقة من اهل الادب * خرجوا للطرب * او لبعض الادب * وفيهم شاب كأن جملة الجمال منه خلقت * وتفاريقها عنه سرقت * وعلى جميع الخلائق فرقت * يتصرف بشمائله فى القلوب * تصرف الهواء بالشمال والجنوب * له قد نحل فى حشى النحل دقة وثغر حوى طيب الجنى

* وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما يفعل الخمر *

وطرة كالغسق * على غرة الفلق * واصداغ ترقص على النار من وجنته * وتسلم عليها وتحرق العشاق دون الوصول الى كوثر فيه وجنته * فيا له من حسن شعر يغبر فى وجه المسك لونا * ورائحة وعزا وصونا * على وجه يخجل البدر ويرده الى محله من المحاق * وبشور الشمس ويردها فى المغرب دون الاشراق * فلكنا حسنه واحسانه * وسبانا وجهه ولسانه * ولحق بى بعض من يخدمنى فاستدعينا بشئ من البوارد * على ذلك الماء البارد * الذى يتلألأ كاللآلى من موارد كالمبارد * وتجعده ايدى الصبا ويلاطفه كالهواء * وينقيه من كل اذى وهباء * ويتخلل تلك الرياض غدير كالمرآة المجلوة يطلع فيها السماء بنجومها * وكادت تخوض فيه زهرها بل غرقت بينها برسوبها وهجومها * وتجمشها عيون السحاب بسجومها * وقد اخضر شاربها كالزبرجد الانضر * وافترت عن ثغر حصبائها كالدر الازهر * وكأن وجه الارض يغابط السماء بغديرها وبراعمها بزرقته وصفائه * وبزهر حصبائه * كما تباريها باخضرار نباتها وكما ان السماء تجارى الارض باغبرار سحابها المتقطر * كذلك الارض تبارى السماء باخضرار نباتها المتفطر * وكما ان الارض تشاكل السماء بازهارها وانوارها * كذلك السماء تماثلها بازهارها وانوارها * وكذلك الارض

* يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل *

والسماء

والسماء تقول ان لى احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لله ساجدين والارض تقرأ والنجم والشجر يسجدان فبينا نحن فى مفاخرتهما عبرا * وان لم تكن نظرا * اذ طلع علينا شيخ متزر من ثياب الديباج والخز * مغرق فى كسى الحرير مبطنة بالقز * مديد القناة قصير الخطى * يقومه الفرح والمرح كالسهم فيمضى ويقوسه السكر او الكبر فيتمطى * فحين قرب منا ملأ الارواح خفة روح وظرفا * والانفاس ذكاء ونشرا وعرفا * والقلوب ذكاء وبشرا وعرفا * والعيون جمالا وملاحة وبهجة * والمسامع بيانا وفصاحة ولهجة * فقمنا واستقبلناه بل طرنا اليه * وطرنا حواليه * بقلوب لهيبته خافقه * ونفوس على شيبته رافقه * فبرنا وسرنا * وحفنا ورفنا * وخص كلا منا بعرفه واحسانه * وابهج جلتنا بمليح لسنه وفصيح لسانه * فاقبلنا عليه وتركنا الشاب الذى تملكنا حسنه واصبانا * واقتنصنا ظرفه وسبانا * واذا للشيخ بهاء وابهه * والفكرة فيه موقظة للالباب ومنبهه * ومجالسته موجهة عن الخمول ومنبهه * وله شعر ابيض مشرق يخجل بياض البازى * ولون احمر ناصع يخجل حمرة الياقوت البهرمانى * وعيناه تذكران حسن عيون النرجس الريان * وحاجباه يبصرانا هلال الفطر سرورا وحبورا او هلال رمضان * الآمر بالبر والايمان * واذا له ثغر يضحك من ندى الاقحوان * ولونه الدرى يهزأ بالمرجان * وانفه يشمخ تيها على الفتيان * ومحاسنه تضئ ببياض النعمه * وتزهر بنور النعمه * وتلوح بطيب النعمه * فجمعت النعم انواعا وألوانا * واستكملت الطيبات ضروبا وافنانا * وله صدر فسيح الارجاء * يتسع لواردى الخوف والرجاء * فاقبل علينا بالوقار والسكينه * والبلاغة المكينه * وقال الآن اذ سكنتم الىّ وتمكنتم * ففيم كنتم * فقلنا له اعجبنا هذا الماء الصافى عن الكدر * وهذا المكان الخالى عن القتر * فقال الشيخ هكذا يكون الخريف يصفو ماؤه * وتصفو نعماؤه * ويرق هواؤه * وتخف ارواحه * وترتاح بنعيمه المقيم قلوبه وارواحه * فانتدب الفتى الطرى * الشاب الاريحى * الذى تقدم ذكره وقال فى غضب وحرد يا خرف أبا الخريف تدل علينا وهو زمان امراضه مزمنه * وفصل جملته موهية موهنه * وحين طبعه حين وحىّ * ومزاجه موحش وبىّ *

ووجهه عابس * وترابه يابس * وهواؤه كالح * وماؤه بطيخ حرارة الصيف اباه زعاق مالح * ولم نسيت فصل الربيع وفضله وسيماه ونشره * وطلاقته وبشره * اذا اقبل يتهلل ويتبسم * ويكاد من الحسن يتكلم * طرى الاحشاء والحواشي * ندى الغوادى والغواشي * لذيذ الابكار * جميع الهواجر طيب الاصائل فقال الشيخ بركون * وتودة وسكون * ما اسمك ايها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد * الماضى المضئ كالسيف فى الحد * والجد والخد * اللطيف فى المنظر والمخبر والمطلع والمقطع فقال اسمى الربيع بن الطيب فا اسمك ايها الشيخ الكريم فى اخلاقه واحلامه * السيد الغافر بعفوه خطأ غلامه * المتجاوز عن زلل كلامه * فانا كما قال السلامى

* تبسطنا على الآثام لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب *
* ونحن اولاك نطلب من بعيد * لعزتنا وندرك من قريب *

فقال يا حبذا وجهك المبارك * قد جل باريه وتبارك * اهلا بك وبقومك * ومرحبا بوقتك ويومك * اسمى الخريف بن المنعم فا ضجرك منى وانا عن نفسى ناضح * ببرهانى اللائح الواضح * فقال الربيع وانا كذلك فاعذرنى وقد عرفت طبعى فى تلونه وان كان مقبولا وحالى فى تفننه وان كان لذيذا معسورا فقال الخريف انت يا فتى معذور * بل مشكور *

* فروحك الريح تحيى كل منتنة * ونارك النور تمحو كلمة الظلم *

وانت من فى وجهه شافع يمحو اساءته وفى حسنه دافع نافع فهذا يزين كل مليح * وذاك يدفن كل قبيح *

* وقبيح الصديق غير قبيح * ومليح العدو غير مليح *

فلم تفضل الربيع على الخريف * يا ربيع الظريف * وقد عرف العالمون باسرهم واعترف العالمون ان الربيع فى طبعه كما وصفت متلون قليل الوفاء * كثير الاخلاق فى الجفاء * لا يوقف على طبائعه وهى كابى براقش ولا يوثق بسجاياه وهى كابى قلمون بينا ترى الشمس سافرة نقابها * وقد ارسلت سحابها * واوحلت طرق المارين وبلت ثيابها * وبينا ترى اوجه السماء فى بكائه وانهلاله واستهلاله

اذ

اذ عاد الى ضحكه وتهلله واستغرابه وبينا تراها وهى تقرب سحبها وتبعد * وتصوب رياحها وتصعد * وتبرق بسحبها وترعد * اذ بدا لها * واستبدلت بتلك الحالة ابدالها * ليس كالخريف ساكن الجاش وقور الطباع ثابت الشيم مطمئن الشمائل * يوقظ الناس للاستعداد للشتاء بالجنائب طورا وطورا بهبوب الشمائل * وينبههم حينا ببرده الخفيف الرفيق القارص بانامله وتارة بغيمه اللطيف الرقيق اللاحظ بنواظره وهو فى هذه الاحوال كلها يميرهم بريعه الوافى الوافر فهم يمتارون منه ويحتكرون * ويتوسعون فى ما ينالون منه ويدخرون * ويقتنون فواكههم ويعصرون ويحتظرون *

قال الربيع

اما ما ذكرت من تلون طباع الربيع * وانه كل ساعة يأتى بخلق بديع * وطبع غريب وكيف ينكر التلون من طبائع مختلفه * وامزجة مركبة من عناصر غير مؤتلفه * وانما فعل ذلك لكى يحيى كل عنصر بمزاجه * ويهز كل طابع بما يقتضيه من حاله لافتقاره اليه بالمناسبة واحتياجه * ولكى ترتاح الامزجة بالتجدد بعد الاخلاق وتنتعش العناصر عن البلى فهو يتدارك بفعله اللطيف ما افسد الخريف * وذلك التلون حبيب الى النفوس لانه ركب من طبائعها ولذلك شبه الشاعر معشوقه به فى فعله فقال

* أما ترى اليوم ما احلى شمائله * صحو وغيم وابراق وارعاد *
* كانه انت يا من لست اذكره * وصل وهجر وتقريب وابعاد *

وبعد فالنفس تمل والقلب يسأم الدائم والحمض اروح والجديد ألذ * واما ما ذكرت من سكون الخريف ووقاره فانما هو لبرده ويبسه والحى تكون حياته بالحرارة مع الرطوبة والميت يكون موته من البرودة مع اليبوسة فالربيع يحيى والخريف يبلى واما ما ذكرت انه يمير الناس المطاعم * ويفيض عليهم المناعم * فان ذلك كله مما نتجه ايدى الربيع وقدمه تدبيره المصيب واورثه عمله النافع وولده كسبه المفيد وعلى الايام يظهر عمل المدبر المصلح * وبعد الاوقات يتبين تدبير العامل المفلح *

قال الخريف

اما ما ذكرت من الخريف وان طبعه بارد يابس كطبع الميت وان طبع الربيع حار رطب وهو طبع الحى فقد جهلت او نسيت واخطأت او خطيت فان الحرارة اوحى قتلا واعجل اهلاكا من البرودة والدليل عليه حال المبرسمين بالقياس الى حال المفلوجين والكيفية الباردة اليابسة هى للارض التى منها خلقنا واليها المصير * وعليها قرارنا ومنها غذآؤنا وهى الملجأ والنصير * وهى طبع السوداء التى هى علة الآفات والثبات والحلم والوقار واصحابها من ذوى العلوم الشريفه * والصناعات اللطيفه * هذا ان سلمنا ان طبع الخريف بارد يابس واما ما قلت ان ما يميرهم الخريف فمن صنع الربيع فكيف يكون ذلك والخريف وقت البذر والشتاء خليفته فى تربيته ولذلك قال الشاعر

* ان الشتاء على كلوحة وجهه * لهو المفيد طلاقة المصطاف *

فما للربيع الا اخراجها مع الحشرات واظهارها مع الهوام فيبلى ابلاء حسنا مشفوعا بسوء بلا * ويقترف فعلا واحدا ممزوجا بالف اذى * ومع ذلك فهو الذى يهيج الاخلاط الفاسدة فى ابدان الناس ويثير الكيموسات الرديئة فى اجسادهم ويذيب الكيفيات الخبيثة عن اجوافهم * وهى جامدة ويحلل الحرارة الغريزية عن احشائهم * فتذهب بها فى الهوآء المشاكل لطبعها ويترك اعماق اجوافهم هامدة خامدة ويولد فى بشارهم وظواهرهم القروح والجرب والحكة والحصبة والحميات الدموية والاعلال الحارة والخريف يطفئ هذه الامراض الدموية ويميت الحيوانات المعفنة ويفنيها او يجعلها كالفانية من السكون كالحشرات والهوام وهو الذى يعدل الطباع بميزانه * ويسوى الامزجة فى ابانه * وينعم الناس وسائر الحيوان بانواع نعيمه وألوانه * وينصف النهار والليل عدلين مؤتلفين * ويجعل الغنى والفقير بميرته مثلين غير مختلفين * فبيوتهم مملوءة حبوبا * وحبابهم مشحونة مشروبا * ونهارهم مشغول باقتناء المير والذخائر التى اوسعها عليهم الخريف لشتائها * وحضهم كل بكرة على اقتنائها * وليلهم ملهى بالشراب الطيب والفواكه اللذيذة والرياحين الارجه * والخيرات البهجه *

﴿ قال الربيع ﴾

اما ما ذكرت من الربيع وان حره يودى او يؤذى بالانسان وسائر الحيوان ووصفت العلل الحارة كالحميات الدموية مثل السرسام ونحوها من شدة الاسقام فقد اوهمت * او وهمت * وتغافلت * او اغفلت * اذ الربيع فى طبعه معتدل المزاج ولذلك قال جالينوس من لم يهزه الربيع فهو فاسد المزاج * محتاج الى العلاج * وانما يقع اكثر هذه الامراض فى صميم القيظ وحميم الصيف الحار * وانما تأخذ الجار بذنب الجار * والربيع باعتدال طباعه والتئام مزاجه وانتظام احواله وائتلاف اخلاقه وافعاله يقوى كل طبع ويبعث كل مزاج ويذبه من فسد بعض الاخلاط من مزاجه * ليتشمر فى علاجه * ويحيى كل موات بعد ضياعه ومفتقده * ويضعف كل بال عن مرقده * ويذكر بالحشر * ويدل على صحة النشر * واما هذه الحشرات والهوام فان الله تعالى خلقها ولم يخلها من فائدة تعود بمصالح الخليقة ولم يخلق شيئا عبثا بل كلها يختص بمنفعة للبرية وان سمومها اذا اخذت منها واخرجت تدخل فى الادوية المجربة ويستعملها الاطباء فى الادواء المؤذيه * ويستشفى بها فى الامراض المرديه * ومع ذلك فانها اعنى الهوام والحشرات تجتذب من الارض وسائر الاركان السموم التى تخالطها مما يشاكلها * وتستلب منها ما تغتذى به مما يلائمها ويوافقها * فتبقى الاركان للنبات الذى يحتاج اليه الحيوان صافية عن كل شائبة وقذى * ويخلو النبات والاغذية نقية من كل عائبة واذى * واما ما قلت فى الخريف وانه يوسع على الناس وجميع الحيوان مآكلها واغذيتها * ويفيض عليها فواكهها ورياحينها وابذتها * فهذا بان يكون من معائب الخريف اولى من كان يكون من مناقبه وهو احد الاسباب التى يكثر بها الاسقام المزمنة فى الخريف فانه يستكثر الناس من اكلها فتستوبله طبائعهم فيجاب المرض او الحرض * او السبب له والعرض * ولا يحتمله مزاجه الذى اقحله حر الصيف واحله ضرم القيظ واستصفته وقدة الهواء * كما يستصفى التنور المسجور رطوبة الشواء * وحلل حرارته الغريزيه * وفش سخونته الطبيعيه * حر الفصل فلا يطيق ما يأكله بالخريف ولا يحتمل ما يناله فيستوخمه ويستوبله ويولد عليه الداهية الصماء من الامراض

والمظلمة العمياء من الاوجاع ولذلك جاء فى الخبر ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم والربيع بحمد الله مقل من الفواكه المضرة والانبذة النيئة والاطعمة الوبيلة الوبيئه * والاغذية الوخيمة الرديئه * وغذاؤه للناس من الخبز الخنطى النقى واللحم من الرضيع والشراب العنبى العتيق المرى وتنقلهم بالفواكه التى قلما تعفن بمنزلة الرمان والسفرجل والتفاح ونحوها مما يبقى فى الشتاء بقوته ومشمومهم من الورد الرائح اللائح * والنور العبق الروائح * والساسفرم الذى ياخذ بطبع الربيع فى اوانه فيكون حارا رطبا لا كما يكون فى الخريف باردا يابسا مولدا الزكام * كقطر الركام * وموزثا لصداع * يشق الراس بانصداع * وهما من خصائص الخريف اعنى الزكام والصداع ومسموعه من اغانى البلابل والقمارى ونحوها التى يهزها الربيع برواحه التى تعبر عن العبير والعود القمارى لان الربيع كما قال الزعفرانى

* وفصل فيه للروض اختيال * لان جميع ما لبست حرير *
* وللاغصان من طرب تثن * اذا جملت تغنيها الطيور *

﴿ قال الخريف ﴾

يا فتى ما اعذب لسانك * واعجب شانك * واملحك فى فصاحتك * وافطنك مع ملاحتك * حيث تعجزنا ببيانك الشهى * كما تسحرنا بلقائك البهى * فتاتى الى ما اجمع العالمون على استهجانه فتحسنه * وما اطبق الحكماء على استحسانه فتهجنه * فانه اتفق العاقل والجاهل والبار والفاجر على بغض الهوام المرديه * وقلى الحشرات المؤذيه * وكراهتها واستقذارها * واستنجاسها واستنكارها * لما تعافه الطباع فى احساسها بالابتداء * وما تخافه المعارف من مضارها فى الانتهاء * وانت تصفها بكثرة منافع ومصالح وتكابر العقول السليمه * والعادات المستقيمه * بلسانك الحول القلب وطرفك المخلط المذيل وبيانك المعن المفن وما اتفق الناس على السعى فيه والحركة له والبقاء به والحرص عليه * والحنين اليه * ومنافسة بعضهم بعضا لاجله وبالجملة ما به صلاح العاجل والآجل وفيه خيرات المعاش والمعاد حيث تعيبه وتذيمه * وتهضم رأيك بذلك وتضيم * وهو نعمة الله التى جعلها مادة الحياة وصورة البقاء لاجل من يستكثر منه فلا يستمرئه * وبسبب من يستعز رفيه

فلا يهنئه * وتروى له الخبر الوارد فى الربيع وتحيله عن حالته * وتقلبه عن قالبه وهيئته * فانه قال ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم وانما قاله للمواشى دون الناس فان الربيع لا ينبت شيئا ينالونه فيحبطون منه فويح لسانك انه حسام * ألد الخصام * ملتهم المحامد قاذف المذام * اما الكلام فى الحشرات والهوام فان استضرار الناس بها معروف وانتفاعهم بسببها منكر وغوائلهما جليه * وعائدتها خفيه * وما ذكرت ان بسمومها يستدفع بعض الاخلاط الفاسدة فلعل تلك الاخلاط منها تولدت فى النبات وبها اختلطت بالامزاج والامشاج وبروائحها امتزجت بالحيوان فهذا ما بطن من حالها * وما كمن من افعالها * فاما الظاهر فان الافاعى والحيات * والعقارب والجرارات * ونحوها فهى قاتلة معطبة او موذية مؤلمة ولا تخلو من اتلاف * ولا تعرى من ادناف * واما النعم الطيبات التى جعلها الله رزق الخلق وانبتها فى الخريف فهى مبتغاة مرتضاة محبوبة الى الخلق مقتضية وهى تشتهيها الانفس وتلذ الاعين وبها وعد المتقون فى دار البقاء * واياها منّى الابرار الى مثابة الثواب والجزاء * ولكنك اعطيت مبتدئا * ما استرددت منتهيا * واصلت قياسا * تبنى عليه ثم هدمت منه اساسا * فقلت بآخره ينال الانسان فى الربيع من المآكل والمشارب والمشام والمسامع كيت وكيت * وحكيت من طريق التنعم ما حكيت * وما افتخرت الا بما اقناه الخريف واعطاه * ومهده للخلق ووطاه * وان لم يمكن به الاستمتاع الى وقت الربيع وقد يبقى منه الكثير الى طلوع الخريف وقلما يستمتع به المرتبع وذلك لانه مملوء بسخونة الهواء * الذى يمنع من استيفاء الغذاء * ولا يهنأه ان نشط فى الامتلاء * وهو مملوء باخلاطه الهائجه * وكيموساته المائجه * ويعنيه من امرها ما يثنيه عن تمتعه ويضجره بعمره * فضلا عن تفقد عيشه بالتنعم وتعهد امره * اللهم الا الاغنياء الذين يقل عددهم * وتكثر عددهم * ولهم ايضا حاشية وغاشيه * وعليهم غادية وعاشيه * فالحاجة عامة والغنية والقنية فى الربيع معدومتان ثم ان وجد واجد فهو كمعدوم لان ايامه مشغلة مزجة اولها من الحوائج البشريه * وهى مشغلة ومجمة اوسطها بالحرارة الشمسيه * وهى مبغضة ومقذرة آخرها من الحشرات الارضيه * والقاذورات الهوائيه * والعفونات الربيعيه * وليله

غفوة كحسوة طائر * او قبسة عجلان او خلسة زائر * واما المحترف فنهاره بقدر ما يكتسب فيه ويقترف * ويعمل به ويحترف * ويقضى المهمات * ويكشف الملمات * وليله للطرب * وقضاء الارب * والتنعم والعجب كل العجب ممن يستوخم فيه ما يناله من الطعام * وهو يقوده باشهى الادام * ويسوقه باهنأ المدام * وذكر جالينوس ان الاوباء * التى تقع من العفونة تعم افناء الناس اهلاكا وافناء * الا مدمنى الخمر فانهم يتخاصون لان فضول الخمر لا تتعفن * فالخريف يمتع بالطيبات المطلوبه * والملاذ المحبوبه * ويصلح ما افسده القيظ بمزاجه الحار اليابس بترطيب الشراب المرى * ويسوى ما عوجه الصيف من النحول والذبول بتغذية الطعام الهنى * فهذا صلاح الخريف وفساد الربيع

﴿ قال الربيع ﴾

لله انت من شيخ يبهر بل يبهت العقول * فى ما يقول * ويعمى بل يعمه الذكى الفطن * بما يظهر مما يريد او يبطن * الا ان كلامه لا يعدو منافع المطاعم اومطارب المشارب والشيخ مثلك يجب ان يقنع من الدنيا باللذات التى تروح الروح وتنفس النفس وتقر العيون وتسر القلوب وتطرب الافهام الذكيه * وتطرى الاوهام الصفيه * من مباهج الربيع وملاذه وطيباته ومساره فكلما صعد الناظر فيه ناظره رأى وجها للسماء بهجة البيضاء ابلج * وعينا سوداء من ظلام الغمام ذات حدق ادعج * وهواء باعتدال قوامه وحسن نظامه جد سجسج * والشمس تسفر حينا وحينا تنقد والسماء تخلع طورا وطورا تسحب والرعد يقهقه من برق يبتسم * ونبل الوبل يرتمى عن قوس فى معارج الهواء تتلون وترتسم * والسحاب كخليع من الفتيان يسكب دمعه وقد هزه طرب الراح * والنسيم نشوان والجو صاح * وكلما صوب ناظره الى الارض صعد بصره بوشى ديباج حاكته يد الربيع ووشته * ونمنمته انامله بضروب من الرقم ونقشته * وطرزته من الورد باحمر رغما لليافوت واصفر غيظا للعين * وابيض خجلا للدر واللجين * وصبغته اعنى الورد آونة

على لونين * ليتسلى به العاشق والمعشوق * ويتفاءل باجتماعهما الشائق والمشوق * ومتعت منه طورا باللين الناعم حاسة اللمس وتارة بالرائحة الفائحة حاسة الشم ومرة باللون الرائق الرائع حاسة البصر ثم جات كل وقت عروسا من الرياض فى ألوان من الازهار * وانواع من الانوار * وقد غسلتها ايدى الغوادى ومشطتها لمقابض الروائح * وعطرتها من النسيم المسكى باطيب الروائح * فهى تختال وتتبرج * وتتعطر وتتأرج * وترفل من حللها وحليها بين مرقم ومنقط * ومسهم ومخطط * ومسير وملون * وموجه ومعين * ومقرط ومشنف ومتوج * ومعصب ومكلل ومزبرج * وممسك ومعنبر * ومصندل ومكفر * ومدرهم ومدنر * صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وصيغة * ومن يأته بمثله صيغة لا صنعته * وهل له شريك فى صنعته

* وكأن السماء تجلو عروسا * وكأنا من قطره فى نثار *

* وكأن الرياض تنظر الفا * وكأنا لحسنها فى نظار *

فالربيع انموذج الجنان وترابه المسك الاصهب * والعنبر الاشهب * والكافور الازهر * وهواؤه لا حر ولا قر * وماؤه كوثر * وانهار من ماء غير اسن وانهار من عسل مصفى وانهار من خمر لذة للشاربين كذلك ماء الربيع خلوقى فى اللون عسلى بالذوق خمرى بالصفاء والاستمراء * واما ما ذكرت من اعتدال زمان الخريف المسوى بالميزان فهذا الاعتدال بالحقيقة موجود فى الربيع فانه معتدل الليل والنهار والاصائل والهواجر وذلك الاعتدال الذى هو للاوقات موجود ايضا فى الكيفيات لاستوائها فى الوزن من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهو مرضى * والاعتدال الذى للخريف مسخوط الكيفيات لخروجها عن الاعتدال الى البرودة واليبوسة فالربيع من الاركان بمنزلة الهواء فى اعتداله ولطافته * ومن احوال العمر بمنزلة الصبى فى طراوته وطلاوته * ومن الاخلاط بمنزلة الدم فى عذوبته وحلاوته * لانه شباب الزمان * وريعان الاكوان * وعنوان العام * وعنفوان الايام * وباكورة العمر * وبكر الدهر * وانف الكاس * ورأس النفس بل هو عين كل راس * ومطلع القصيده * واول الجريده * وبالجملة الربيع لب الزمان والخريف قشره والربيع نقيه والخريف عظمه والربيع صفوه

والخريف كدره والربيع سلافه والخريف عكره والربيع نديه والخريف درديه والربيع انفه والخريف ذنبه * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا * والربيع صدره والخريف عجزه وليست الاعجاز مثل الصدور

﴿ قال الخريف ﴾

تبين اى الفصلين اكثر مناعم * واوفر مكارم * واوفى اغناء واقناء * واقنى اعطاء وايلاء * واصفى ابتداء وانتهاء * وكل منا يمدح صاحبه ومن يمدح العروس غير اهلها ويذم قرنه ولا تعدم الحسناء ذاما فعلينا ان نبين وجه التفضيل بخصائص كل منهما وانت تدعى ان الربيع ابين صفاء واحسن اعتدالا واولى التئاما * وابلغ انعاما * اما الاعتدال بالذات فغير موجود للاشياء الكائنة الفاسدة لانها لو اعتدلت وتكافأت قواها * وتساوت اجزاؤها * لامتنعت عن الفساد * لان كل واحد منهما منع صاحبه عن القهر والعناد * واما الاعتدال بالاضافة فانه يكون فلنبحث عن الفصلين ايهما ابين اعتدالا فقد علمنا ان الربيع اوله عند مبلغ الشمس رأس الحمل والحمل تأثيره بالحرارة واليبوسة ولفضله برودة ورطوبة ورثهما عن الحوت الذى استدبره وبرودة ويبوسة يستفيدهما من الثور للذى يستقبله والميزان فى نفسه تأثيره الحرارة والرطوبة ولفضلة برودة ويبوسة مستفادة من السنبلة التى استدبرها وبرودة ورطوبة من العقرب التى يستقبلها فاذا قوبل كل واحد منهما بصاحبه ساوى الحوت والعقرب والثور السنبلة فى كيفياتها وبقى الحمل فى نفسه حارا يابسا لانه بيت المريخ وشرف الشمس وناهيك بما لهما من الحرارة واليبوسة والميزان بيت الزهرة وهى احد السعدين فبقى للميزان الاعتدال ولذلك سمى به لان فصل الخريف استفاد من الصيف حرارة ويبوسة ويستقبل من الشتاء رطوبة وبيوسة وهو فى نفسه حار رطب * واما تشبيهك اياه بالشيخ وتشبيه الربيع بالصبى ثم تفضيل الصبى على الشيخ فهو امر غريب ومعنى بديع وهب ان الخريف فى طبع الشيخ والربيع فى طبع الصبى أفى الدنيا احد يفضل الصبى على الشيخ فان للصبى رطوبة موجية مضطربة تمنعه عن جودة ادراك المحسوسات فضلا عن ادراك المعقولات والشيخ ذهبت عنه رطوبة

الصبى وانفصلت منه حرارة الشبيبة المفرطة واعتدلت كيفياته وتكافأت قواه وتساوت احوال مزاجه فلذلك يكون ادرك وادرى * وابلغ وابلى * وألطف وألطى * واذكر واذكى * وشبهت طبع الربيع بطبع الهواء فلعمرى ان الميزان أليق بهذا التمثيل من الحمل لو انصفت فان المنجمين والاطباء اطبقوا على قولهم ان الميزان هوائى اى له طبعه وكذلك الدم • واما ما ذكرت ان الربيع استبد بالورد والنور والزهر واختص بالشراب الصافى والماء الخلوقى والهواء الرقيق والسماء المبرقة المرعدة فقد علمنا ذلك • اما الورد فقد يكون ايضا فى ايام الخريف وخصوصا النسترن وهو اطيب ألوانه وكذلك النور والزهر وكلها فى الخريف اطيب منها فى الربيع لان رائحتها محصورة فيها غير منبعثة عنها وان كان الربيع يزهى بالورد السريع الورود العاجل الصدور الذى لا يتشممه الشام صالحا واذا هو ذابل ولا يشمه اللامس وافيا واذا هو ذاوى ولهذا يعير العشاق معشوقيهم بالانتقال عن العهد * والزوال عن الود * ويشبهونهم بالورد ويتشبهون بالآس وانما منعهم ان يتشبهوا بالنرجس مع بقائه * وحسن عهده ووفائه * لانه يكون تزكية لانفسهم وتفضيلا لذواتهم على معشوقيهم بالحسن الرائع البهج * والطيب الريح الارج * والطرف الفاتر الغنج * والقد المستوى المنعرج * هذا مع بقائه ووفائه وامتاعه بنفسه جملة اشياعه واتباعه والخريف مختص به وبالزعفران ايضا وهو من الحسن والطيب * والتفريح والتطريب * والنفع فى ادوية كثيرة ومعاجين جمة وذرائر عزيزة ما لا خفاء به وله مدخل فى عداد العطر والطبخ والادوية واصلاح الاغذية وتطييب المأكل ويبلغ فى التفريح مبلغا لا يدركه شئ الا الخمر وقد يلقى فيها ويسقى الشارب تعمدا فيصير به ضاحكا آتيا بعجائب * من المطارب والملاعب * • واما الشراب الصافى فقد يكون ايضا فى الخريف اصفى واعتق منه فى الربيع ويفضل الخريف بالحديث الطرى وما للربيع من الخريف استفاد وكل خير له من عنده والشرب من اوفق الاشياء بالخريف وهو اصلح منه فى سائر الفصول لان الشراب فعله التسخين والترطيب لان هذا الفصل مكتس ومكتسب من الصيف يبوسة ومن الشتاء برودة فيكسر سورتهما به ويفل غوائلهما بسببه وهو ضار فى الربيع لان فصله اجتلب

رطوبة من الشتاء واكتسب حرارة من الصيف فلا يقوى على حرارتى الشراب والفصل ورطوبتيهما فلا تحتملهما طباعه ولا يستقل بهما مزاجه وهو ضار ايضا فى الصيف لافراط الحرارة وفى الشتاء ايضا لكثرة رطوبته فاوفق الفصول للشراب الخريف وتعديل المزاج قلما يتأتى الا لمن يتعاطى الشرب هذا مع ما فيه من الطرب والسرور والفرح واجمع الاطباء انهم ما وجدوا شيئا يقوم مقامه فى تعديل المزاج وتسوية القوى بلا مضرة واجتلاب الفرح والمسرة اذا اخذ على وجهه منه ولذلك قال فيه القائل

* هما ما هما لم يبق شئ سواهما * حديث صديق او عتيق رحيق *
* وهونت حلو الحادثات ومرها * بحلو حديث او بمر عتيق *

واما الماء الخلوق الذى اعتددت به فما ادناه من اعتداد * واقصاه من سداد * واى خير فى ماء اختلط بالطين * وامتزج بالتراب والصلصال المهين * فلا يمكن الشارب العطشان ان يقربه * فضلا عن ان يشربه * واما البرق والرعد فاى فائدة فى بارقه * ربما عادت شر صاعقه * وحرقت اشخاصا كثيرة ولا تخلو من احراق قط اذا كثر حتى انه يذهب كثيرا من الاثمار مثل الكمثرى وغيره * واما الرعد فانه فى قلة المنفعة كصوت الطبل بل دونه فان فى هذا انذارا بامر حادث وسلطان طارئ والرعد يهدم كثيرا من الابنية البرية ويفزع جما غفيرا من البرية ولهذا يقال لمن يتهدد بباطل فلان يرعد ويبرق كما قال الشاعر

* ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر *

قال الربيع

ما احسن كلامك لو كنت تراعيه فلا تنقض فى القابل ما تبنيه فى الغابر زعمت ان الخريف تأثيره بالحرارة والرطوبة لان الميزان يتولاه وهو هوائى دموى ثم جئت الى ذكر الشراب وقلت هو موافق فى الخريف لان طبع الخريف بارد يابس وطبع الشراب حار رطب ونسيت ما ذكره الحكماء فى طبع الخريف وانه بارد يابس مبرح * مكرب مترح * ولذلك كانت امراضه مزمنة واطباقهم

كافة ان طبع الربيع حار رطب مفرح * مطرب مروح * ولذلك صارت الدماء به في الاجساد منبثه * والحرارة الغريزية منبعثه * وادعيت ان الشرب في الخريف اوفق واطيب واغفلت ان الشراب حار رطب وكذلك الربيع فالملاءمة بينهما اكثر * والموافقة لهما به اوفر * والصحيح يتغذى بالمشاكل الموافق والمريض يعالج بالضد وهبك لم تعلمه أما شهد لك الحس الصادق بطيب الشراب المورد على الورد او ما سمعت ما قال فيه القائلون * وما تقلب في افانينه الشعرآء والملهون * او ما بلغك ان احدهم يحلف ابنا له ألا يشرب فلما بلغ الى آخره قال او زمان الورد ايضا وامتنع من اليمين * ووثق ان يحنث فيه او يمين * وما حكي ان حائكا في زمان المأمون كان يعمل عمامة وقته اجمع اكتع لا يستريح ليلا ولا نهارا * ولا يجم سرا ولا جهارا * ولا يترك عمله في الجمعات والاعياد ولا يفتر عن شغله بالنوائب والمصائب فاذا جآء زمن الورد ألقى حفه وانشد شعرا واشتغل بالشرب اربعين يوما ووصفت حاله للمأمون فاجرى عليه ما اغناه عن عمله * واجزاه عن حياكته وشغله * ولو ذكرت كله لتعسر الخطب وطال الخطاب * وعرضت حبال المقال وامتدت طنب الاطناب * وانما قلنا ذلك لان الشراب والربيع يتزاوجان بالامتزاج * ويتحدان في الازدواج * فيقوى فعل الروح لاتخاذها بالراح وهذه هي علة الخمر في اجتلاب الفرح والاريحية والهزة التي تحدث للشارب وذلك لان الدم ينبوع الحياة ومطلع السرور بزيادة الحرارة الغريزية ولهذا يكثر الفرح والضحك في الصبيان ولمن يغلب عليه الدم وبهذا السبب بعينه يستولي الطرب على الناس في الربيع لانه فصل معتدل والغالب عليه الحرارة والرطوبة وهما طبع الدم الذي هو ينبوع الروح فقد تبين ان الربيع يزيد في الروح ويمد في الروح ولهذا المعنى اتفق اشتقاق الروح والراح والروح كلها من الريح معنى مصيبا واحسن ابن الرومي حيث قال

* والله لا ادري لاية علة * يدعونه للراح باسم الراح *
* أَلِريحه ام روحه تحت الحشا * ام لارتياح نديمه المرتاح *

ويسمى الدم ايضا نفسا لهذا المعنى ولمشاكلة الربيع الدم الذي هو مادة الروح وعنصر النفس يهيج الربيع الدم خاصة ويثير سائر الاخلاط عامة وفي اثارتها

فائدة خفيت عليك وهى لكى يتدارك بالمعالجة والمداواة وشرب الادوية التى
تجعل الاجساد منقاة من الفضول مصفاة مسواة والربيع ينشر حتى الجماد وينبت
حتى الاحجار * فضلا عن الحشائش والاشجار * ويطلع الازهار والانوار *
وينجم الاوراق والاثمار * ويظلل السماء بالمطارف الغبر * ويفرش الارض
بالمطارح الخضر * ويجلل الجبال بالحلل الحمر * ويعقد على الرؤوس اكلة من
الاشجار المتشعبة ويحلل بها نثارا من الانوار المونقة وينصب للطيور منابر تغنى
عليها وترمز اطيب الاغانى والزمر * ويطيب للناس لذيذ العمر * فكأنه يضمهم
عرس واحد ويجمعهم دعوة جفلى * ويقريهم مأدبة فوضى * او كان كلهم ملك
الارض باسرها وكأن ازهارها وانوارها دراهم ولآل منثورة عليهم وورد هم
وشقائقهم دنانير ويواقيت مبذولة لهم وكأن نباتها زبرجد وميناء وفيروزج متوجة
اياهم وكأن امواهها الخالوقية صهباء عتيقة يشربونها فتطرب بها قلوبهم
وترتاح وتنزاح بها عنهم الكرب وتزول فهل يستوى هذا وقشف الخريف
وظلفه ويبسه وقتره وغباره وكدره وتقبضه وعبوسه * وتقطبه وبوسه * فعيون
الناس فيه سائلة وعيون الارض جامدة ووجوه السماء مغبره * وخدود الخلق
مصفره * وظواهر الجبال ومفارقها من هول البرد مبيضة وبواطن الورى
وصدورها من كرب الخريف مسودة والشمائل من الارواح عاصفه * وشمائل البرية
بالارواح عاسفه * فهذا حال الاغنياء منهم فكيف ظنك بالفقراء * الذين ما لهم
غطاء ولا وطاء * وأنى بمخيلتك فى الغرباء الذين ليس عندهم ثاغية ولا راغية ولهذا
كان عمر رضى الله عنه اذا اظل الشتاء كتب الى كل ناحية جاءكم العدو الحاضر
فاستعدوا له واذا سفر الربيع نقابه واكتسى جلبابه ارتاحت لمقدمه القلوب وانتفت
الغموم عمن لا يملك قيد سبد ولا لبد * ولا ياوى الى والد ولا ولد * واما وصفك طبع
الربيع بالاعتدال فالله كافيك وحسبك انك تقول شيئا وتعلم خلافه وتظهر معنى
وتضمر سواه وان يدرى جميع الناس انك مموه فيه * ومزخرف فى ما تخلصه منه
وتستصفيه * اوما يخاف الكذوب ان يذوب والفصل المعتدل لا تزمن امراضه *
ولا تدمن اوجاعه ولا تقتل اعراضه * وهذه قصيرة من طويلة

قال

﴿ قال الخريف ﴾

حاصل كلامك ان الربيع ينبت ويورق * ويزهر ويرعد ويبرق * وبقى ان تنظر ما الشئ الذى يثمر ويجنى ويطعم * ويحصد ويقطف وينسم بنعم * ويزرع ويبذر * ويربى ويوفر * وليس ذلك الا الخريف وتفضيل الخريف على الربيع امر متفق عليه قد صنفت فيه كتب سائره * ودونت به اشعار فى ايدى المتأدبين دائره * ﴿ فمن ذلك ما كتب على بن حمزة الى ابى الحسن بن طباطبا العلوى فقال ﴾ الخريف ثمرة الربيع كالشجرة التى تثمر ولولا الثمر لم تكن فى الشجر فائدة وفى الخريف تحصل اصناف ما يتمول وما يدخر من اقوات الخلائق الممسكة ارواحها الى الخريف القابل وفيه يكون الزعفران وله على جميع انوار الربيع فضل وله ورد يطلع كنصل السهم الناوكى وقرن الخشف فى لون الياقوت الازرق* واللازورد المونق* كالعيون الشهل واعراف الطواويس المحجلة ويتفتح عن شعر كخيوط الذهب والخطوط الحمر * فى اغلاف الحلل الخضر * وكشرر نار يلوح من حدائق البنفسج كألسن الحيات المنضنضة ويطلع ورد الزعفران البرى فى السنة مرتين ربيعا وخريفا غير ان البرى لا يكون له نور الزعفران المستعمل وحشيش الزعفران يشبه اذناب الخيل ويصبر على البرد فيبقى اخضر ناضرا والدروع مصفرة وله اصول كعقد من العاج وفلك مغازل الابريسم ويبقى تحت الارض طويلا فلا يتغير متدثرا بمخمل كصوف الخز وليف جوز الهند وفى الخريف يجد النخل * ويجمع اعسال النحل * وتقطف الاعناب التى فيها المنافع وفيه اجتناء الاقطان التى منها لباس الناس وزينتهم احياء* وسترهم بعد الفناء * وفيه يقطف اللوز والجوز والعناب والنبق وغير ذلك مما يعم نفعه وفيه تلاقح ذوات الاظلاف الانسية والوحشية وفيه مطارح البزاة وفيه ينضج الاترج واوراقه تشبه شقق الفريد اذا خطرت فيه الرياح خفقت خفق المطارف الخضر وله ورد كالفاغية وهى ثمرة الحناء ويتفتق عن مثل خرزات الزبرجد ثم يعظم وتشوب خضرتها صفرة الرحيق الاصفر فاذا خلصت الصفرة صار ذلك كقلال ظاهرها ذهب وباطنها فضة فيها حب كاللؤلؤ والمرجان وقشره ينفع المعمود وله اذا حرك عرف يفوق ارج رياحين الربيع ويستخرج منه

دهن اذكى من النار وله حماض لذيذ يطيب القدور و ينفع المحزون واذا تصرمت الرياحين فى الشتاء فالاترج غض طرى وقد اجتمع فيه وفى العنب الطبائع الاربع فوصف الخريف وذكر فضائله واقتص خصائصه كما ترى فى النثر واما النظم فمن ذلك ما قاله ابو الحسن ابن الرومى من قصيدة

* لولا فواكه ايلول اذا اجتمعت * من كل نوع ورق الجو والماء *
* اذا لما جفلت نفسى متى اشتملت * على هائلة الحالين غبراء *
* يا حبذا ليل ايلول اذا بردت * فيه مضاجعنا والريح سجواء *
* وجش القر فيه الجلد واشتملت * من الضجيعين احشاء واحشاء *
* واسفر القمر السارى بصفحته * وريالها من صفاء الجو لألاء *
* يا حبذا نفحة من ريحه سحرا * يأتيك فيها من الريحان امضاء *
* بل فيه ما شئت من شهر تعهده * فى كل يوم يد لله بيضاء *

﴿ ومن ذلك ما قاله عبدالله بن المعتز ﴾

* اشرب على طيب الزمان فقد حدا * بالصيف من ايلول اسرع حاد *
* واشمنا بالليل برد نسيمه * فارتاحت الارواح فى الاجساد *
* وافاك بالانداء اقدام الحيا * والارض للامطار فى استعداد *
* كم فى ضمائر تربها من روضة * بمسيل ماء او قرارة واد *
* تبدو اذا جاد السحاب بقطرة * وكأنما كانا على ميعاد *

﴿ وقال ابو عمر عبدان الفرخى يصف الخريف ويفضله على الربيع ﴾

* وارى الربيع عيون قوم اغفلت * طيب الخريف وبهجة الاسحار *
* ان كان ذاك لواضحات دراهم * بين الرياض نثرن من اشجار *
* فلها نثار فى الخريف يفوقها * حسنا على الجنات والانهار *
* تحكى دنانيرا لنا اوراقها * ولها فضيلة مطعم الاثمار *
* وخلا الربيع فما لنا فيه سوى الارواح والانواء والامطار *
* ومخافة الارعاد اثر صواعق * ترمى البلاد واهلها بالنار *
* فاسعد بتشرينين وانعم منهما * متعوذا بالله من آذار *

واشرب

* واشرب على ورديهما مشمولة * من زعفران طالع وبهار *
* يغنيك عن ورد الربيع وعرفه * عن شم طيب لطيمة العطار *
* يا حبذا ايلول جاء مبشرا * بالخصب بعد المحل فى الامصار *
* والشمس فيه وفيهما ميزانه * حلت لوزن عادل المعيار *
* اخذ النهار وليلنا حظيهما * فالليل عن وزن كفاء نهار *
* وكفاك فى ذم الربيع رواية * ينبيك عنها حامل الاخبار *
* فاذكر كلام نبينا فى قوله * صلت عليه ملائك الجبار *
* اذ قال هل بخروج آذار لنا * خوف القيامة فيه من بشار *

وقال ايضا يصفه

* آذار جوك للغيوم مسخر * اذ لست انت لنا الخريف الازهر *
* وضر الشتاء بنا اضر وبرده * فابعد رشيدا انت منه اوضر *
* ركدت غيومك فى السماء كأنما * غطى عليها منك لبد اغبر *
* هذاك اول برده متزايدا * من ظل كانونين مرا اكدر *
* والشمس عن نظر الورى محجوبة * فكأنها عذراء او هى استر *
* تغدو وتمسى فى اسار اصايب * ولها متى طلعت شعاع اعبر *
* ما بين نيسان وبينك عامنا * ضاع الربيع وضل ذاك المنظر *
* فمتى نرى ملء السماء وتوبها * الا لبود لازورد اخضر *
* ومتى يقل بكاؤها وربوعنا * من دمعها خربت وهذا اهدر *
* ومتى ترى شمس السماء شماتة * بالغيم يبسمها شعاع انور *
* او ليس ليلك والنهار تساويا * والشر فيك من المنايا اكثر *
* والفصل يؤذن بالحياة وطيبها * ما بالنا فيه نموت ونقبر *
* عاما ارتك عجائبا ايامه * عين التفكر فيه ليلا يسهر *
* فيه وفى الماضى كسوف سنة * كل على الانسان منه يحذر *
* موت الفجاءة والخوانيق التى * كلا اصابت بالمنية تنذر *
* احكام كل من شهور ستة * عن قول بطليموس ذلك يؤثر *
* منها ثلاث قد مضت وثلاثة * فيها لمن ينجو ويعبر معبر *

* ان المنجم والطبيب تجيبا * اذلم يكن فى العرف مما يذكر *
* والفيلسوف بذاك ايضا جاهل * فهم جميعا فى المنايا حير *
* ان كان ذلك فى الورى فى دورها * سنتين ان صدقت بما قد خبروا *
* لكن اقول اذا اراد الهنا * امرا اليه يصير عبدا يؤمر *
* لا تكذبن فاننا بقضائه * طوع الردى حتما نموت وننشر *
* والفوز فى الدنيا والاخرى للذى * منا على البلوى الممحض اصبر *

﴿ وقال ايضا فى فضل الخريف على الربيع ﴾

* فضل الخريف على الربيع وحسنه * ان عم كل مدينة آثاره *
* وله مناظر حسن ذاك وزادنا * طيب الفواكه كلها اثماره *
* يصفو الهواء لنا ويبرد ماؤنا * ويطيب مرقدنا وتحمد ناره *
* نلتذ فيه صبوحنا وغبوقنا * عبق النهار وسجسج اسحاره *
* وارى المخالف ذا قياس فاسد * قد ضل لما راقه انواره *
* اذ قال ضاهى النور فيه دراهما * ما للخريف على الرياض نثاره *
* غفل الركيك عن المجالس كلها * فيه اذا ما دثرت اشجاره *
* وتناثرت اوراقها مصفرة * كالتبر اخلص فاستنار نضاره *
* والمهرجان فخصب بنعيمه * فاذا تنورز ممحل آذاره *
* وتخاف وقع صواعق وبوارق * فيه وهدم رباعنا امطاره *
* وكذا المياه وهد واديها بها * مهما جرى وتدفقت انهاره *
* والمهرجان فورده عن ورده * مغن بفضل حسنه نظاره *
* اذ كان فيه منافع ولطيبه * لم يخل منه طيبه عطاره *
* والشمس فى الميزان فيه يستوى * للوزن عدلا ليله ونهاره *
* يسقيك من حلب الكروم جديده * سلسا بلا مزج يطير شراره *
* لا غول فيه ولا اذى لخماره * لا كالعتيق مصدع مصطاره *
* فاشربه مغتنما لروح زمانه * ودع الشقى موفرا اوزاره *
* وارتد له طيب الغناء ومزهرا * تشجى فؤاد متيم اوتاره *
* والزمر لا تقرع به اسماعنا * ان الغناء يعيبه مزماره *

هذا

* هـذا الزمان وما سـواه دونه * لفتى تساعده به اوطـاره *
* ان كان ينكـر جاهل هذا بلا * عقل فليس يضيرنا انكاره *
* فاذا اتى النيروز فاقض حقوقـه * ما دام يسعد ورده ازهـاره *
* واذا رجوا فيه القيامة فارج ان * يأتى بوشك خروجه بشـاره *
* وارقب طلوع النجم حتى ينقضى * نيسـان تأمن ان دنا اياره *

﴿ وقال الباذانى فى نعت الخريف ﴾

* واسـعدك الله بالمهرجان * اذا ما انقضى عنك عاما يكر *
* ولا زلت فى عيشة كالخريف * فان الخريف جميعـا سحر *
* ترى المـاء فيـه وذاك الهواء يجلوهمـا نسم ريح عطر *
* ترى الزعفران باعطـافه * يفوح التراب له المقشـعر *
* واترجـه عاشـق مدنف * اذا ما رجا طيب وصل هجر *
* ولون سـفرجله حائل * واحسـبه من صدود حذر *
* وتفـاحه فوق اغصـانه * خدود خجان لوحى النظر *
* وماكنت احسب ان الخدود * تكـون ثمارا لتلك الشجر *

﴿ وقال آخر ﴾

* فهناك اقبـال الخريف عليـك بالزهر الجنى *
* تم اعتـدالا فى الكمـال فجـاء فى خلق سوى *
* فاق الربيع بحسـنه * ونسيم رياه الذكـى *
* وينـوب ورد الزعفران به عن النـور البهى *
* اهدى اليـك المهرجان يميس فى زى الهدى *
* قـد ضمخت بالزعـفران وهيئت فى حسن زى *
* وتحات التفـاح والاترج فى نظم الحلى *

﴿ قال الربيع ﴾

ما كنت اظن انك ترضى بحكومة الشعراء وتقنع بالاشعار الركيكة فى هذا البـاب وتكيل علينا بهذا الصاع * بل تهيل بالباع والذراع * فهاك منها السيل الذى

يحكى سيل الربيع * فاما رسالة ابى الحسن على بن حمزة بن عمارة الاصبهانى فهى مقابلة برسالة له اخرى فى وصف النيروز كتب بها الى ابى مسلم محمد بن بحر فقال

هذا يوم عجمى مشرق الارجاء * بهى الرواء * ممتع الذكاء * منير السماء * صافى الهواء * اعتدل مزاجه واستوى ليله ونهاره ترتاح له القلوب وتهتز له النفوس وتستريح اليه الارواح يروق العيون ويؤنس القلوب * ويجلو الكروب * يوم مصطلح فى تفضيله على الايام يهيج السرور ويصبى الكبير ويطرب الحليم ويذكر الشيب الشباب ويجمع المتفرق ويؤلف المتنافر ويدنى المتباعد له نسيم المسك المشوب بالعنبر المداف يضاحك ارجوانه اقحوانه وجلناره بهاره وخيريه ياسمينه ووردة نرجسه فتبرج بعد التعنس * وتنضر بعد التيبس * وابتهج بعد التعبس * توشح بالزبرجد وتأزر بالاستبرق وتحلى بالياقوت والمرجان * ونفى عن الفتيان خواطر الاحزان * فهممهم عليه موقوفه * واشغالهم اليه مصروفه * وقلوبهم بالملاهى فيه مشغوفه * وعيونهم اليه روان * ونفوسهم عليه حوان * والظبا فيه تتنازى * والطيور تتبازى * وناطقها فيه يطرب فيرتجل الاغانى * ويقرب الامانى * ويغنى الشرب فيه عن كل صوت شجى مطرب اذا تحاذت تطارحت الالحان * بفصاحة سحبان * وخالد بن صفوان * فرجحت الاغصان بالنبرات والنغمات فهن بمحضرة الرياض ساجعه * وعيون الحوادث عليها هامعه * فتى خطرت الرواعد ولمعت البوارق مرت الصبا اخلاف العهاد * فاهتزت له الربى والوهاد * وتلفعت ببرود اليمن وتبسمت الارض عن ثغور الاقحوان * بكتها دموع الغيث فى خير اوان * واجل زمان * وتمايلت البقاع بالازاهير الناضرة تمايل النشوان * يميس فى الارجوان * واختالت القيعان والجنان * ببدائع الالوان * زاهرة بانواع نوار الغياض * واصناف اصباغ الرياض * من شقائق حمر ترف بقطرات الدموع كالمشتاق * وفواقع صفر كألوان العشاق * وازاهير رائقه * مشفقة مونقه * مونسة هى الدهر ضاحكة لبكاء السماء محيطة بواد الزرزوذ وهى كالمقرم الصائل اذا جرجر ورمى بلعابه والضيغم الهائج اذا زمجر وزأر فى غيله فاذا اصطكت امواجه * واطبق ضجاجه * وهمهم وزخر وجاءت اواذيه

معتجرات

معتجرات بمطارف دكن اقبلت ضروب نباته غائمات متوشحات بتهاويل رقها المنمنم زهره مختالات عاليات بمجانفة الامواج آمنات شبا الجوارح فنسأل الله تمام النعمة واليه ارغب فى ان يجعلك بالنعمة تماما * وللمكارم نظاما * وللدنيا قواما * بمنه

﴿ ووصف على بن عبيدة الريحانى الربيع فقال ﴾

الربيع رشيق القد طلق الوجه كريم الاخلاق لين الاعطاف حلو الشمائل * جم الفضائل * عطر الرائحة سليم الناحية فاخر البزة بهى المنظر * سرى المخبر * ﴿ ووصفه ابن ابى طاهر فقال ﴾ الربيع تام الجمال * حسن الدلال * عظيم الخطر * لطيف النظر * جميل الذكر * ذكى العطر * لذيذ النسيم * طيب الشميم * غزير النعيم * قليل الهموم * ظليل الغموم * واما النظم فالقصيدة الاولى الالفية مقابلة بمثلها من قول بعض الشعراء

* طلع الربيع بغرة زهراء * تجلى العيون بها من الاقذاء *
* وبدت وجوه الارض بعدقطوبها * مفترة ببدائع الآلاء *
* فالارض فى حلل وحلى مونق * فى ما حبته به يد الانواء *
* والروض يضحك عن بكى وسميه * بتلألؤ من صنعة الانداء *
* وترى الرياض كأنهن عرائس * يرفلن من صفراء فى حمراء *
* اوما رأيت الارض غبراء الربى * حتى اغتدت فى بردة خضراء *
* ان الربيع لبهجة الارض التى * منها تكون جوهر الاشياء *
* وله هواء كالهوى من رقة * دقت عن الاوهام والاهواء *
* واذا تنفس بالنسيم نسيمه * كتنفس الصبوات فى الاحشاء *
* زمن جديد للسرور تجدد * فيه استحلت حرمة الصهباء *

واما القصيدة الدالية فهى مقابلة بما قال الحمدوى

* حى الربيع فقد اتاك حميدا * بدلت من خلق الزمان جديدا *
* خلع السحاب على الثرى وشيا ترى * منه الثرى ذا ثروة محسودا *
* روض افادته السحاب صنائعا * اضحى بها كل البلاد سعيدا *
* نشأت سحابته عليه فانشأت * نورا تراه ناشئا ووليدا *

* فكأنها عدن لدى اكنافه * قد نشرت فيه التجار برودا *
* عن اقحوان ضاحك متبسم * يفتر عن برد يخال عقودا *
* فثغوره من لؤلؤ ولثاته * ذهب بريق سحابه قد جيدا *
* ومعصفرات من شقائق البست * مقلا ترى فيها محاجر سودا *
* فانهض بطرفك حيث شئت تجد له * من عطفه وردا يخال خدودا *
* تحكى لك الوجنات قد اشعرتها * خجلا فشرب لونها توريدا *
* قد وشحت اكنافه بينفسج * خنث يغازل غانيات غيدا *
* وترى العذارى من بهار باهر * للشمس تحسب نظمهن فريدا *
* زهر يظل الطرف فى اكنافه * حسرا لرونقه النضير بليدا *
* فاذا الرياح مشين فيه ظللن من * كسل النعيم رواكعا وسجودا *
* يصددن صد متيم متهزم * انحى له عذاله تفنيدا *

واما القصيدة الرائية الاولى فمقابلة بما قال ابو تمام وبينهما بون بعيد

* رقت حواشي الدهر وهى تمرمر * وغدا الثرى فى حليه يتكسر *
* نزلت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لا تكفر *
* مطر يروق الصحو منه وبعده * صحو يكاد من الغضارة يمطر *
* غيثان فالانواء غيث ظاهر * لك وجهه والصحو غيث مضمر *
* يا صاحبيّ تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور *
* تريا نهارا مبصرا قد شابه * زهر الربى فكأنما هو مقمر *
* دنيا معاش للورى حتى اذا * جاء الربيع كانما هى منظر *
* اضحت تصوغ بطونها لظهورها * نورا تكاد له القلوب تنور *
* من كل زاهرة ترقرق بالندى * فكأنها عين اليه تحدر *
* محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن فى الوغى وتمضر *
* من فاقع غض النبات كانه * در يشقق قبل ثم يزعفر *
* او ساطع فى حمرة فكأنما * يدنو اليه من الهواء معصفر *
* صبغ الذى لو لا بدائع لطفه * ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر *

والقصيدة الثانية الرائية مقابلة بما قال البحترى

* ألم تر تغليس الربيع المبكر * وما حاك من وشى الرياض المنشر *
* مررنا على بطياس وهى كأنها * سبائب عصب او زرابى عبقر *
* كأن سقوط القطر فيها اذا انثنى * اليها سقوط اللؤلؤ المتحدر *
* وفى ارجوانى من النور احمر * يشاب بافرند من الروض اخضر *
* اذا ما الندى وافاه صبحا تمايلت * اعاليه من در نثير وجوهر *
* اذا قابلته الشمس فات التفاتة * لعلوة فى جاديها المتعصفر *

والقصيدة الثالثة مقابلة بما قال ابن المعتز

* أما ترى بهجات الروض فى السحر * فوق الندى واتساق الورد فى الشجر *
* اذا السحاب سقاها فى الدجى خلعت * بعد السحاب عليها الشمس فى البكر *
* والروض من زاهر زاه بنظرته * وكامن منه فى الاغصان منتظر *
* حسبى من الورد توريد الخدود كما * حسبى مسرة محسود من البشر *

والقصيدة الرابعة الرائية مقابلة بما قال ابن الرومى

* اصبحت الدنيا تروق من نظر * بمنظر فيه جلاء للبصر *
* وهالها مصطنعا لقد شكر * اثنت على الله بآلاء المطر *
* والارض فى روض كافواف الحبر * تبرجت بعد حياء وخفر *
* تبرج الانثى تصدت للذكر *

هذا ما قيل من الاشعار * ولو استقصيت ما قيل فى فضل الربيع لادى ذلك الى الاكثار * ويكفيك من فضائله انه ما نبغ شاعر الا وله شعر فى الربيع واما الآثار * التى جاءت بها الاخبار * فكثيرة ايضا والنوروز الذى هو عنوان الربيع تعظمه الفرس على سائر الايام وتقول انه يوم فيروزى روحانى فيه تحركت الافلاك السبعة بعد ان كانت ساكنة وفيه دارت الكواكب السبعة فى افلاكها بعد ان كانت واقفة وفى ساعة منه يزخر فلك فيروز بمعانى الارواح لانشاء الخلق وفيه خلق جرم الشمس ولذلك يقال اسعد ساعات النيروز ساعة الشمس * وقال الحسن بن سهل سأل المأمون على بن موسى الرضا عن النيروز فقال يوم عظمته

الملائكة والانبياء والملوك فالملائكة عظمته لانهم فيه خلقوا والانبياء عظمته لانه اول يوم طلعت فيه الشمس والملوك عظمته لانه اول يوم من الزمان * وعن عبد الصمد بن على بن عبد الله رفعه الى جده عبد الله بن عباس قال اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم نيروز جام فضة عليه حلاوة فقال ما هذا فقالوا يوم النيروز فقال وما النيروز فقالوا عيد الفرس فقال نعم اليوم الذى احيا الله فيه العسكرة قالوا وما العسكرة قال القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاحياهم الله فى هذا اليوم ورد عليهم ارواحهم وامر السماء فامطرتهم مطرا كالشنف فلذلك اتخذ الناس صب الماء فى النيروز سنة فاكل الحلاوة وقسمها بين اصحابه وقال نيرزوا لنا كل يوم * ويقال ان فى النيروز اظهر جم الملك مقادير الاشياء وتتبرك الفرس صبيحته قبل الكلام بان تلعق ثلاث لعقات من عسل وتتبخر بثلاث قطع من شمع وتزعم انه شفاء من الف داء زعم بعضهم ان من ذاق السكر صبيحته قبل الكلام وادهن بالزيت دفع عنه فى عامه انواع البلايا

﴿ قال الحريف ﴾

رويت لنا يا بنى اشعارا فى صفة الربيع وفضائله * وما تعرضت لنقص الخريف ورذائله * وعلى المناظر ان يقوى حججه ودلائله ويوهن براهين خصمه وشواهده ليتضح الحق ويفتضح الباطل كما فعلنا ذلك وان لم نستوفه واتينا على جمل من ذلك ولم نستقصه * واما ما ذكرت من فضيلة النيروز فللمهرجان ايضا فضائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى تزعم الفرس وغيرهم من الامم انه يوم خلق الله فيه الاجساد قرارا للارواح وفيه دحا الارض دحوا ونشر الخلائق وهو يوم افريغونى وعيد افريذونى وفى ساعة منه يتنفس فلك افريغون لتربية الاجساد وفيه خلق الله القمر يوم خلقه كرة سوداء فاذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه ويقال ان القمر فى المهرجان يوفى على الشمس واسعد ساعاته ساعة القمر ويقال ان قلة جبل شاهين ترى طوال ايام الصيف سوداء حتى صبيحة المهرجان ترى بيضاء كأن الثلج عليها وزعم المؤيد المتوكلى

ان

ان يوم المهرجان يطلع الشمس بهامير الواسط بين النور و الظلمة وتتحرك الارواح في الاجساد ولذلك سمته الفرس ميركان وتيمن الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان وشم ماء الورد وهو يوم افريذوني مر افريذون في طلب بيوراسف فظفر به يوم المهرجان الاكبر

فهذا ما حضر من فضائل الخريف واولاها وأولاها بان يذكر ان الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام الدين اطال الله بقاءه * وادام في درج المعالي ارتقاءه * والربيع غائب عن حضرته * انسها الله بدوام نعمته * مشتاق اليها والحاضر خير من الغائب والموجود خير من المعدوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى وافترقا بعد ذلك والسلام والحمد لله اولا وآخرا * وباطنا وظاهرا * والصلاة على النبي محمد وآله اجمعين

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر

سنة احدى واربعين واربع مائة

(كذا باصله)

﴿ تم هذا الكتاب المستطاب * بحمد الله الوهاب * في مطبعة ﴾

﴿ الجوائب بالاستانة العليه * في سلخ صفر من ﴾

﴿ سنة ١٣٠٢ هجريه * على صاحبها ﴾

﴿ فضل التحيه * ﴾

فهرسة

مطبوعات الجوائب

هذه اسماء بعض الكتب التي طبعت في مطبعة الجوائب

كتب من تاليف صاحب الجوائب

سر الليال فى القلب والابدال يحتوى على تبيين معانى الالفاظ واشتقاق وضعها (طبع فى المطبعة السلطانية) فيه نحو ٦٠٠ صفحة كبيرة

الساق على الساق فى ما هو الفارياق او ايام وشهور واعوام فى عجم العرب والاعجام (طبع فى باريس على شكل غريب)

غنية الطالب ومنية الراغب فى الصرف والنحو وحروف المعانى (مجلد تجليدا متقنا)

الواسطة فى احوال مالطة وكشف المخبا عن فنون اوروبا طبع على النسخة الاصلية بتصحيح مؤلفه وقد اضيف اليه عدة فوائد احصائية

الجاسوس على القاموس يحتوى على ٧٩٠ صفحة كبيرة (مجلد تجليدا حسنا متينا)

الباكورة الشهية فى نحو اللغة الانكليزية * وتليها * المحاورة الانسية فى اللغتين العربية والانكليزية * وفى آخرهما * مختصر قاموس انكليزى وعربى يشتمل على مجموع كلمات كثيرة تحتوى على ٣٣٠ صفحة متوسطة (طبعة ثانية)

اللفيف فى كل معنى طريف لتعليم القراءة فى المكاتب وتمرين الخواطر فى المراتب (طبعة ثانية) وفى آخره منتخبات حكم لطيفة ونصائح ظريفة وحكايات وفكاهات

كتب

﴿ كتب اخرى طبعت فى مطبعة الجوائب وهى من تأليف الشهم ﴾
﴿ الهمام الافخم النواب والاجاه بهادر حضرة سيدنا السيد محمد ﴾
﴿ صديق حسن خان ملك بهوپال المعظم ﴾

لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان ﴿ وفى آخرها ﴾ خبيئة الاكوان فى افتراق الامم على المذاهب والاديان

نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان

حصول المأمول من علم الاصول

غصن البان المورق بمحسنات البيان

البلغة فى اصول اللغة

العلم الخفاق من علم الاشتقاق

حسن الاسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوه

نزل الابرار بالعلم المأثور من الادعية والاذكار

كتب تركية طبعت فى مطبعة الجوائب

حقوق ملل مترجم من اللغة الفرنساوية

ديوان المرحوم صبرى شاكر الشهير

تاريخ اميريكا وتفصيل اخبار كشفها

اخلاق حميده للاديب محمد سعيد افندى

تخميس قصيدة البرده للمرحوم نحيفى افندى

﴿ كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب اعتنى بجمعها مدير الجوائب ﴾

﴿ الجزء الاول ﴾ يشتمل على ما فى الجوائب من الفصول اللطيفة والمقالات الظريفة والمقامات الادبية التى لصاحب الجوائب

﴿ الجزء الثانى ﴾ يحتوى على ذكر تفصيل حرب جرمانيا مع فرنسا من اولها الى آخرها

﴿ الجزء الثالث ﴾ يشتمل على بعض القصائد التى نظمها صاحب الجوائب فى الاستانة وهى التى ادرجت بالجوائب وهو جزء من ديوانه

﴿ الجزء الرابع ﴾ يشتمل على القصائد التى نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء فى مدح منشئ الجوائب

﴿ الجزء الخامس ﴾ يشتمل على جميع ما فى الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية التى حدثت فى الممالك العثمانية وفى الدول الاجنبية من جملتها الاوامر والفرامين السلطانية وغير ذلك من المعاهدات التى صدرت فى الخطوب الشهيرة

﴿ الجزء السادس ﴾ يشتمل على ما فى الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جملتها الاوامر والفرامين السلطانية التى صدرت فى الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التى يحتاج اليها كل اديب اريب ويرتاح اليها كل مؤلف لبيب

﴿ الجزء السابع ﴾ يشتمل على ما فى الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جملتها الاوامر والفرامين السلطانية التى صدرت فى الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التى حدثت من سنة ١٢٩٥ الى غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨

﴿ كتب اخرى طبعت فى مطبعة الجوائب ﴾

انشاء الامام مرعى ﴿ ويليه ﴾ انشاء العلامة العطار

لوعة الشاكى ودمعة الباكى للعلامة خليل بن ايبك الصفدى (طبعة ثالثة)

درة الغواص فى اوهام الخواص للعلامة الحريرى ﴿ ويليها ﴾ شرحها للعلامة قاضى القضاة شهاب الدين الخفاجى

رسائل ابى بكر الخوارزمى

رسائل العلامة ابى الفضل بديع الزمان الهمدانى

ديوان العباس بن الاحنف ﴿ ويليه ﴾ ديوان ابن مطروح المصرى

نزهة الطرف فى علم الصرف للشيخ الامام احمد بن محمد الميدانى صاحب مجمع الامثال ﴿ ويليها ﴾ الانموذج للعلامة جار الله الزمخشرى ﴿ ثم ﴾ الاعراب فى قواعد الاعراب لابن هشام كلاهما فى علم النحو وهذه المجموعة مطبوعة باحرف كبيرة جلها بالحركات

امثال العرب للمفضل الضبى ﴿ وتليها ﴾ اسرار الحكماء لياقوت المستعصمى طبعت على نسخة بخطه ﴿ وفى آخرهما ﴾ منتخبات حكم وآداب ومواعظ وامثال لافلاطون وغيره من مشاهير الفلاسفة الاقدمين

خمس رسائل ادبية ﴿ اولاها ﴾ الايجاز والاعجاز للامام الثعالبى ﴿ والثانية ﴾ برد الاكباد فى الاعداد له ايضا ﴿ والثالثة ﴾ احاسن المحاسن للعلامة الزنجى ﴿ والرابعة ﴾ منتخبات البيان والتبيين للامام الجاحظ ﴿ والخامسة ﴾ غاية الارب فى معانى ما يجرى على ألسن العامة فى امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب للمفضل بن سلمة

الدر المكنون فى الصنائع والفنون (طبعة ثانية)

ديوان الطغرائى صاحب لامية العجم المشهور وفيه ايضا اللامية

مقامات العلامة الحافظ جلال الدين السيوطى وهى ادبية طبية

مجمع الحمام فى مدح خير الانام للعلامة شمس الدين الصالحى الهلالى شيخ شهاب الدين الخفاجى

مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمذانى

نثار الازهار فى الليل والنهار للامام الخزرجى صاحب لسان العرب

الدراسة الاولية فى الجغرافية الطبيعية مترجم من الفرنساوية (طبعة ثانية)

مطبوعات جديدة

﴿ طبعت حديثا فى مطبعة الجوائب ﴾

﴿ حسن الاسوه * بما ثبت من الله ورسوله فى النسوه ﴾ تأليف الهمام الافخم * الملك المعظم * امير الملك عالى الجاه بهادر حضرة سيدنا النواب السيد محمد صديق حسن خان ملك بهوپال المفخم يحتوى على ٤٠٠ صفحة متوسطة

﴿ نزل الابرار * بالعلم المأثور من الادعية والاذكار ﴾ تأليف الملك المعظم المشار اليه فيه ٤١٢ صفحة كبيرة

﴿ مجموعة المعانى ﴾ هذا الكتاب البديع * والمؤلف السنيع * لم يذكر فيه اسم مؤلفه مع انه مستحق للذكر لبراعة ما اشتمل عليه من النظم الرائق * والكلام الفائق * وقد وجد فى دار كتب المرحوم اسعد افندى فطبعناه على اصله

﴿ مصارع العشاق ﴾ تأليف الشيخ العلامة ابى محمد جعفر بن احمد بن الحسين ابن السراج القارى

﴿ تاريخ الفلاسفة ﴾ ترجمه من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية الكاتب اللوذعى الفاضل السيد عبد الله افندى نجل السيد حسين افندى المصرى

﴿ رسالتان ﴾ للعلامة ابى حيان التوحيدى (احداهما) فى الصداقة والصديق (والثانية) فى العلوم

﴿ اربع رسائل ﴾ منتخبة من مؤلفات الامام الثعالبى (الاولى) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة (الثانية) منتخبات كتاب المبهج (الثالثة) منتخبات كتاب سحر البلاغة وسر البراعة (والرابعة) منتخبات كتاب النهاية فى الكناية

﴿ مطمح الانفس * ومسرح التأنس * فى ملح اهل الاندلس ﴾ تأليف الوزير العلامه * الحبر الفهامه * ابى نصر الفتح بن خاقان * وهو مما لم يذكر فى قلائد العقيان